مجموعة قصصية

«ابن البقرة»

اسم الكتاب : ابن البقرة
تأليف : عمرو شهدي
تصحيح لغوي : عبد الرحمن عوف
رقم الإيداع : ٥٨٩٧ / ٢٠١٨

ZERO ONE PICTURES
Production solutions that make sense

زيرو وان للتوزيع – شارع أحمد فخري – مدينة نصر – القاهرة
تليفون : 01285829109- 01090288777

«زيرو وان» للنشر و التوزيع
E.mail: Zeroonepictures@outlook.com
Zeronepictures.com
website: www.zeronepictures.com

© جميعُ الحقوق محفوظة، وأى اقتباس أو إعادة طبع أو نشر فى أى صورة كانت ورقية أو الكترونية أو بأية وسيلة سمعية أو بصرية دون إذن كتابى من الناشر؛ يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعّبر بالضرورة عن رأي الدار.

« ابن البقرة »

مجموعة قصصية

عمرو شُهدي

محمد السحار

إهداء

إلى أُمي ثم أُمي ثم أُمي..ثم أبي
إلى مَنْ لم تُخلق لها حروف بعدُ حتى تصفها

أجمل لحظات الحياة تلك التي تقتحمنا فجأة بلا أي مقدمات

«نظرية الرجالة كلهم عينهم زايغة»

في حالة ظهور صفة مُعينة تُميز شخصية الغالبية من أفراد مجتمع ما، حتى تُلخصه بأكمله وتختصره في تلك الصفة؛ فهذه العملية تُلقب بالشخصية القومية، وحينما يكون الأسلوب العام للحياة والسِمة المُشتركة بين أفراد هذا المُجتمع هي الطاغية حتى تصمه بأكمله بها؛ فنحن ما زلنا في قالب الشخصية القومية.

هل سمعت من قبل عن صرامة الألمان، وجدعنة المصريين، وكسل السودانيين، وغطرسة الفرنسيين، ونفاق اليهود، وبطء الفهم لدى الصعايدة والفلاحين، وعن همجية العشوائيين، وعن رغي الحلاقين، وعن نصب المندوبين، وعن الشباب المُدمنين، وعن رغي الحريم، وعن إسفاف المغنيين الشعبيين، وعن ذكاء اليابنيين، وسيطرة الأهالي وتمرد الأبناء والمراهقين، وبخل المنوفيين، وعن أشراف الجيش المصري، ورجال الشرطه الفاسدين، كل هذه الصفات قد وضعت فئة كاملة في سلة واحدة حتى يسهل عليها عملية حملهم، هذه السلة هي سلة الشخصية القومية.

«الرجالة كلهم عينهم زايغة».. كم مرة سمعت هذه الجملة على مدى سنين عمرك؟ هل فعلًا كل الرجال أعينهم زائغة؟ هل هذا الرجل الذي أوهمني بصلاحه وأوهم والدتي بأنه زوج مُخلص هو في النهاية يحمل عينين زائغتين؟ هل هي خاصية زرعها الله في أعيننا وميزنا بها عن النساء حتى تلتصق بالرجال بهذا الشكل، أم هي كارثة التعميم السلبي؟

لا بُد وأنك قد قابلت ولو رجلًا واحدًا لا يملك خاصية العين الزائغة، لا بُد وأنك قد قابلت شخصًا ألمانيًا مرحًا وفكاهيًا وغير صارم في عمله،

أو كان لديك صديق مصري في غاية الندالة ولا تمسه الجدعنة بصلة، أو تكون قد تعرفت على سوداني في قمة نشاطه وحيويته، أوسمعت عن شابة فرنسية في غاية التواضع، وعن يهودي لا تحسبه منهم، وعن صعايدة وفلاحين دكاترة ومُثقفين، وعن شباب واعٍ، وعن بنات محترمات، وأنثى تكره كثرة الكلام والرغي وتعشق الصمت، وأهالي متفاهمة وأبناء متعاونة، لا بُد وأنك قد سمعت أصل الأغاني الشعبية حينما كانت في قمة الأصالة والروعة، لابُد وأنك قابلت منوفيًا في قمة كرمه وضيافته بشكل يفوق البقية، لابُد وأنك قد رأيت جنديًا أطلق الرصاص على المُتظاهرين، ولابُد وأنك قد رأيت شُرطيًا يخشى الله ويفدي الوطن بدمائه.

دعك من كل هذا وتخيل ظهور شخصيتين قوميتين يتوغلان داخل البلاد حتى يُهددان أمنها ويقسمان شعبها، شخصية قومية تصف المؤيدين وشخصية قومية أخرى تصف المعارضين وتُعممهم في صفاتهم السلبية، سوف تجد أنها ما إلا صفة سلبية عممناها وألصقها كلانا بالآخر دون وعي أو فهم، دون تفريق وتجزئة، ولكن غلبتنا لذة وسهولة وضع الجميع في سلة واحدة، دون أن نتذكر أن هناك كلمات موجودة في قاموسنا مثل: «بعض – معظم – غالبية – أحياناً – ما عدا – قِلة – مجموعة – فقط» وغيرها.. كلمات قد أفقدناها أهميتها وأهملناها حتى أصبح (البعض) لدينا (جميعهم)، ولكن في حالة تصادم وتعارض أي فئتين من فئات الشعب حول أي قضية؛ فالدم – وبلا أدنى شك – (كله) حرام.

«**الأُجرة كام يا أسطى؟**»

بمُجرد دخولي السيارة سألني «عند حضرتك كلب؟»، فأجبته بالنفي مُستغربًا؛ فسألني «طيب متعرفش حد عنده كلب صُغير؟ جرو؟ حاجة أليفة كده.. كلب بوليسي يعني؟»، فأجبته مُستفهمًا «إنت عايز كلب أليف.. ولّا عايز كلب بوليسي؟»، فأجابني مُقاطعًا «أنا عايز كلب جيرمن»!

أخرجت هاتفي واتصلت بأحد أصدقائي المُغرمين بتربية الكلاب، أخبرني أنه يملُك العديد من الكلاب الجيرمن الصغيرة، ولكن بعد ٢٥ يومًا، لأن الكلاب «لسه بترضع»، ثم سألته عن سعرها، أخبرت السائق بأن الكلب يُساوي ١٠٠٠ جنيه، فقال لي إنه لا يملك سوى ٥٠٠ جنيه، أجبته مُقاطعًا حديثه «الكلب بـ١٠٠٠ جنيه، شوف تقدر تقرب للرقم ده بقد إيه، وأنا هخليه يسامح في الباقي»، شكرني بشدة ثم قال لي «اسمع يا باشا، أنا هحكي لحضرتك حكايتي وإنت أكيد هتقدر».

حكايته تتلخص في أنه رجل عجوز، كانت حياته مُستقرة للغاية، يعشق زوجته.. وكذلك هي؛ كافح كثيرًا حتى يُحقق طموحات أولاده، حاول أن يؤسس لنفسه من خلال هذا التاكسي حياة أقرب ما تكون للطبقة المُتوسطة، لكنه في يوم من الأيام وصل منزله ليجده فارغًا ولم يجد به أحدًا، دخل غرفة نومه.. فوجد زوجته نائمة، ولكنه وجدها نائمة وإلى جانبها رجل آخر، كانت تخونه معه، فقد وعيه لحظتها، ولكنه حينما أفاق لم يجد زوجته، ولم يجد عشيقها، ولم يجد أولاده، ولم يجد والده بعد أن مات من حزنه على ابنه في فترة غيابه عن الوعي، لم يجد سوى والدته التي تنهار من البكاء في كل لحظة تراه فيها. دخل

في فترات اكتئاب حادة، وقام بإفراغ منزله من جميع مُحتوياته حتى لا يتذكر أي لحظة عاشها مع زوجته، يحمل مطرقًا حديديًا يكسر به يوميًا في حوائط منزله حتى ينهار ويذهب هو في غياهب النوم، يحلق شعر رأسه يوميًا حتى أصبح شكله أقرب لمرضى السرطان، أدمن تعاطي المخدرات والبرشام والحشيش والبيرة.

وفي يوم من الأيام.. ركب معه رجل اكتشف السائق العجوز من حديثه في الهاتف أنه (دكتور بتاع النفسيات) على حد قوله، فحكى له فضيحته، وسأله عن علاجه، فأجابه الطبيب بأنه ليس أمامه سوى حلين، الأول هو أن يتزوج من امرأة تُزيح عنه همومه.. فقاطعه السائق «على جُثتي صنف الحريم ده تاني»، فأكمل الطبيب حديثه بأن العلاج الثاني هو أن يحصل على كلب.. كلب صغير يكون هو شريكه الوحيد في المنزل.

ثم نظر نحوي بسرعة شديدة، وكأنه تذكر شيئًا للتو: «صحيح يا باشا، هو الكلب ده صحته جامدة؟ أبوه وأمه صحتهم حلوة يعني؟»، كان ردي من خلال نظرة استنكار، فقال في تأثر شديد «والله يا باشا مش بجاحة مني، بس أنا لو اتعلقت بالكلب ده ومات.. أنا هموت وراه».

فكرت للحظة في مدى التشابه الكبير بين هذه الزوجة الخائنة وبين هذا الكلب، ولكن سرعان ما تلاشت تلك الفكرة من رأسي حين تذكرت كلام الطبيب للسائق «الزواج أو الحصول على كلب»، فوجدت أنه وضعه أمام خيارين لأنهما مُختلفين، لأنه بإمكان الكلب أن يؤدي دور الزوجة بشكل أفضل وعلى أكمل وجه!

«مقطع ساخن..شاهد قبل الحذف»

لماذا أتساءل عن سبب الازدحام المجهول، وعندما أقترب وأعلم أن السبب هو وقوع حادثة، أجد أن السبب لم يكن في الحادثة نفسها بل في أن كل من يمر بسيارته يُهدئ السرعة بل وأحيانًا يتوقف حتى يشاهد هذا المشهد، حتى أنضم أنا أيضًا لهؤلاء المُشاهدين؟

لماذا أُحرك أُذني نحو الصوت المُرتفع والصُراخ والسب والشتائم في إحدى المُشادات الكلامية؟ لماذا أُحرك قدماي وأقطع بهما مسافة وأركض وسط العديد من الراكضين حتى لا يفوتني شيء من مُشاجرة بين رجلين كاد أحدهما أن يقتل الآخر؟ ولماذا تزداد متعة المشاهدة لديّ حين تكون بين شابتين مُحجبتين لتنتهي المعركة بسقوط الحجاب عن رأس إحداهما وتمزيق ملابس الأخرى؟ لماذا أنسى نفسي وتسوقني قدماي نحو أب يصفع ابنته على وجهها في أحد المطاعم الراقية ثم يسحبها كما خروف العيد بعد أن رآها جالسة مع شاب – أستمتع بالنظر إلى عينيه وهو ينسحب ويهرب؟ لماذا أركض نحو شباك منزلي وأفتحه بسرعة لأقذف منه رأسي فور سماعي صرخة امرأة؟ ولماذا ألصق أُذني بالباب فور سماعي مُجادلات بأصوات مُرتفعة تنبثق من عند جيراني حول أمورهم التي هي في غاية الخصوصية؟ لماذا تتعالى ضحكاتي حين أرى مجنونًا بشعره الأشعث وثيابه المُتسخة المُمزقة بعد أن رفعها وكشف عورته ليركض خلف المارة وهو يتبول عليهم؟ لماذا تتسع حدقة عينيّ حين أرى سيدة مجنونة قد تجردت من جميع ملابسها وهي تتجمل وتُهذب شعرها بيديها؟ لماذا أتوقف في وسط الطريق وأُعطل نفسي عن ميعاد هام حتى أرى مُجرد نزاع شرس بين قُطتين؟ ولماذا أتوقف بل

وأقوم بنداء أحد أصدقائي حتى يُشاركني اللحظة، وربما أُخرج هاتفي في بعض الأحيان لتصوير لقطة عشوائية نادرة لكلبين في وضع مُخل بالآداب فوق سقف إحدى السيارات؟ لماذا أعشق سماعي للإيحاءات الجنسية في أحد البرامج؟ ولماذا يقتلني ضحكًا ترويع الناس تحت عنوان الكاميرا الخفية؟ لماذا يلفت انتباهي ويجذبني فيديو بعنوان «ادخل شاهد مقطع ساخن للكبارفقط»، أو «شاهد الفنانة فلانة عارية»، أو «ادخل شاهد فضيحة بالصوت والصورة للراقصة فلانة»، أو «فضائح الفنانات العرب قبل عمليات التجميل»، أو «لايفوتك المُغنية الشهيرة لحظة سقوط فستانها»، أو «اعرف أجور ومرتبات الممثلين الحقيقية»، أو «إلحق شاهد قبل الحذف فضيحة المغني الشعبي»؟

كلها عناوين يتعمد كاتبوها وضعها بهذا الأسلوب لمدى معرفتهم بطبيعتي التي لاتركض إلا خلف المقاطع الساخنة والفضائح؛ لماذا أصبحت تلك العناوين طُعمًا يضعه لي بعض الدُعاة الإسلاميين حتى أدخل لأُشاهد مقطعًا ساخنًا وفضيحة فأجد نفسي أستمع إلى آية قرآنية بصوت الشيخ عبد الباسط عبد الصمد أو أحد الشيوخ يُحدثني عن عذاب القبر؟ لماذا لا أبحث عن شخصيتي باعتبارها عارية وفضيحة تُثير فضولي بشدة؟ لماذا لا أعيش حاضري قبل أن يتحول إلى مُجرد عنوان ساخن يجذب الزبائن؟ لماذا لا ألتفت نحو مُستقبلي قبل أن يتحول إلى مقطع جنسي يُشاهده الملايين؟ لماذا لا أنظر في المرآة وأُشاهد نفسي بسرعة قبل الحذف؟ فقمة النجاح هي أن تتحول إلى مقطع ساخن يُشاهده العالم أجمع ليحصل على أعلى نسبة مُشاهدة قبل أن يتم حذفك من الحياة.

«ناس ليها حظ وناس ليها ترتر»

بعد أن تَحَصَل على مبلغ قدره ثُلثمائة جنيه، قرر أن يدعو صديقه وزوجته وطفليهما الاثنين على العشاء في أحد المطاعم التي تُقدم اللحوم ومُشتقاتها، راغبًا في رد ولو واحدة من دعواتهم له التي لا تنقطع بحكم عزوبيته، وبالفعل قد أجابوا الدعوة، ولكن في أحد مطاعم الأكلات البحرية الفخمة بناء على رغبتهم.

التفوا جميعهم حول الطاولة المُستطيلة التي غابت عن الرؤية بعد أن كستها شتى الأكلات البحرية، لم يخترق ذهنه حينها سوى أن هذه الكمية من الطعام لا بد وأن تحتاج ضعف المبلغ الذي بحوزته، أخذ يبتلع ريقه الذي قد جف إثر الصدمة.. انفصل عن عالمهم إلى عالم آخر؛ الجميع يأكل في نهم مُتجاهلين سبب صمته وامتناعه عن الأكل على غير عادته، كان يُقلب في رأسه صفحات فن الهروب من الكوارث حتى خطرت بباله فكرة قادرة على أن تُخرجه من هذه الأزمة دون حتى أن يدفع جُنيهًا واحدًا من جيبه.

قرر أن يلتقط أي حشرة تعبر من جانبه، أو يلتقط بعض الشُعيرات من رأسه ويدسها وسط طعامه ويصرُخ طالبًا المدير حتى يوبخه على هذه الفعلة، ويُطالبه بالتعويض فورًا، ولكن سرعان ما تبخرت الفكرة من رأسه حين تمعن جيدًا فخامة المكان وطباخينه، يستحيل أن يصدر منهم مثل هذا الفعل المُقزز، هذا وأن الشكوك سوف تُثار حوله هو شخصيًا خاصة بعد أن استُهلكت تلك الحركة كثيرًا.

فجأة.. اعتدل على كرسيه، اكتمل تركيزه وكأن الكارثة قد تلاشت من رأسه تمامًا، وشاركهم الأكل في نهم هستيري، قام بنداء النادل

وطلب منه أن يضم إلى طاولتهم طاولة أخرى ويملؤها بالمزيد والمزيد من الطعام حتى يُكرم ضيوفه، ثم قام بإعطائه «بقشيشًا ضخمًا».. أكمل تناوله للطعام وهو يتحدث معهم بمنتهى الثقة عن عمله الذي لا ينقطع، والذي يستدعيه في أي لحظة في حالات الضرورة، حيث إنه هو الشخص الوحيد القادر على حل المشكلات المعقدة.

وفي أثناء حديثه، قام بإخراج مائة جنيه وأعطى كل واحد من أبنائهما خمسون جُنيهًا، آمرهما بأن يذهبا ويبتاعا بعض الحلوى، كان ذلك وسط اندهاش الحاضرين، مُستنكرين بذخه وإسرافه للمال دون حرص، أخرسهم بأن خير الله كثير ولا ينقطع عنه حين قام بنداء إحدى عمال النظافه ووضع في جيبه خمسون جُنيهًا، وبعد أن انتهى الجميع من الأكل وتبقى أمامهم ثلاثة أرباع ما طلبوه، طلب من النادل أن يقوم بتغليف الطعام، وأن يُحضر معه الحساب، وعند عودة النادل.. أخرج محفظته وأخرج من داخلها مائة جنيه وقام بإعطائه إياها: «دي بقى تديها للشيف، وقوله تسلم إيدك»، ثم ناوله الطعام المغلف: «وده عشاك إنت ومراتك، ويا سيدي لو مش متجو....»، أخرج هاتفه من جيبه وقام بالرد وأخذ يتحدث وعلى وجهه علامات الصدمة الممزوجة بالعصبية الشديدة، اعتذر منهم في لهفة وفر هاربًا ليتلقى الآخر الحساب،

نظرت له زوجته في حدة: «ادفع.. ادفع.. يجي إيه ده في بحر الفلوس اللي دفعها صاحبك بقشيش بس، قال على رأي المثل: ناس ليها حظ وناس ليها ترتر»، أما لسان حال الهارب كان يقول: «لا يُشترط أن تمتلك النقود، ولكن لا بد وأن تمتلك حافظة النقود الثمينة حتى تُخفي فقرك بداخلها».

«غريق متعلق بحَباية»

«إحساس مُختلف تمامًا إنك تكون فنكوشي، لكن الأجمل إنك تكون فعلًا فنكوشي. الفنكوش عنده قُدره أكبر من أي حد تاني، الفنكوش تعرفه من بعيد، الفنكوش هيديم السعادة الزوجية في الشوكولاتة ديه.. الفنكوش هيخليك بجد متِفنكش عالآخر، والسر إنه بجنيه واحد لكل واحد.. الفنكوش بدون آثار جانبية، الفنكوش بيحقق أحلام الواحد.. بجنيه واحد لكل واحد».

هذا هو الحوار الإعلاني عن مُنتج يسمى «الفنكوش»، عباره عن شيكولاتة صغيرة تُضيف طاقة جنسية للرجل، والسعر هو جنيه واحد فقط لكل واحد.

لن أتحدث عن العقلية التي سوف تستوعب أن هناك مُنتجًا سعره جنيه واحد قادر على إضافة طاقة جنسية للرجل، ولن أتحدث عمن أقنع نفسه بمدى فعالية هذا المُنتج، بعد أن ضاقت به الحياة، وأصبح كالغريق الذي يتعلق بِحَباية، ولن أتحدث عن كثرة نسبة الإعلانات عن المُنشطات الجنسية بشكل مُلفت للنظر، وعن الإيحاءات والاستمالات الجنسية الصريحة، والعبارات الخادشة للحياء التي تحملها، ولن أتحدث عن الاستنتاج الواضح بأن الشعب المصري تقريبًا أصبح بأكمله ضعيفًا أو عاجزًا جنسيًا، حتى يُعرض له هذا الكم الهائل من المُنتجات التي تسعى جميعها نحو شحن طاقته الجنسية، ولن أتحدث عن سعر المُنتج الذي لا يُذكر، حتى يُصبح في مُتناول العاجزين ماديًا وجنسيًا في نفس الوقت، والذي هو أقل من سعر أحقر شيكولاتة سادة دون أن تكون محشية بالمُنشط الجنسي، أو أن تكون حتى محشية بالبُندق، ولن أتحدث عن

الآثار الجانبية لهذا المُنتج، وأقلها هو الصُداع وتوتر الأعصاب وارتفاع ضغط الدم وغيره من الأمراض، ولن أتحدث عن تعرُض الأطفال لمثل هذه الإعلانات حينما يُعرض عليهم هذا المُنتج في صورة شيكولاتة، وبهذا السعر الذي هو في مُتناول أيديهم طوال الوقت، ولن أتحدث عن قيام المحلات التُجارية والأكشاك والصيدليات ببيعها للأطفال دون أي ضمير، ودون تدخل من وزارات الصحة والتموين والإعلام.

كل ما أُريد التحدث عنه هو أن الصمت خير تعليق على مثل هذه الإعلانات القادرة على إصابتك بالعجز الجنسي، حتى تُجبرك على شراء مُنشطاتها.

«**أنا كافر**»

كيف سيُحاسب من عاش في الزمن السحيق قبل نزول الديانات السماوية؟ ماذا عن القبائل التي لم تصل إليها أي من الديانات السماوية إلى يومنا هذا؟ كم هو أمر مُحير لدى المُسلم أن يدخل مسيحي النار في حين أنه فاعل للخير ومُحب للجميع ومُساعد للمُحتاجين ومؤدي لفروضه! وكم هو أيضًا أمر مُحير للمسيحي حين يرى مثل تلك الصفات تجتمع في شخص مسلم ثم تكون نهايته النار! وما هو ذنب مُجتمع تتوارث فيه الديانات؟ ما هو ذنب من نشأ لأبوين على ديانة مُعينة، ثم يُفاجأ يوم القيامة وهو بين يدي الله أنه قد أهدر حياته على الدين الخاطئ؟ ماذا يفعل يوم لا يُجدي فعل؟ ما الشيء الذي سوف يشفي غليله من والديه مُورثينه هذه الديانة الخاطئة غير أن يراهم في النار قبله؟

(الفطرة) . .والله أعلم

الفطرة هي الاستعدادات والميول والغرائز التي دُفِعتُ بها من رحم أُمي وبمُجرد ولادتي حتى أستفتي قلبي من خلالها، فأُفرق بين الحق والباطل. . الخير والشر، الجميل والقبيح، الحسن والسيئ، الرضا والجشع، التواضع والغرور، الحلال والحرام، الثواب والعقاب، الجنة والنار، وبين المعنى ومُضاده.

فاعل الخير يفعل ما يتوافق مع فطرته، وفاعل الشر يفعل أيضًا ما يُخالف فطرته، قبل أن يظهر دين يُملي على كليهما ما يفعله وما يجتنبه، وحتى بعد نزول الديانات وبعد أن ورثت أحدهم وجدت أن أخطائي تُصبح مُخالفة لفطرتي قبل أن تُخالف ديانتي، ومحاسني تُطابق فطرتي قبل

أن تُطابق ديانتي فأنا أشعر بالارتياح بعد أن أُساعد الفقير لأن نفسي تسعد بذلك قبل أن يأمرني ديني بالصدقة.

بعد وراثتي للديانة، وجدت أني قد دفنت الفطرة بداخلي حين أصبح همي الوحيد هو أن أُطبق ما يُمليه علي ديني، حين جعل الدين مني مؤدٍ للفروض دون أدنى شعور، ومؤدٍ للصلوات دون أدنى خشوع، وأصبح جميع ما أخشاه هو العقاب، وكل ما أتمناه هو الثواب، وأصبحت مُعلقًا بين الجنة والنار. هذا بالإضافة إلى الحديث المُمل عن أخلاقياتي المُتدهورة والتي أصبح حديث نفسي معي عنها مُجرد مضيعة للوقت ولا جدوى منه حتى أصبحت أخلاقي المحكومة بالدين أسوء وأضل سبيلًا ممن عاشوا في الأزمنة السحيقة قبل ظهور الديانات، وممن لم تصل إليهم دياناتنا إلى هذا اليوم، ولكنهم ساروا خلف فطرتهم التي خلقهم الله بها في نفس الوقت الذي دفنت وأخفيت فيه فطرتي السليمة حتى جاء اليوم وصارحت نفسي..أنا كافر.

كافر بالمعنى اللُغوي وليس الديني، والمعنى هنا هو الستر والإخفاء، ومنه سُمي المُزارعون بالكُفار لأنهم يدفنون ويخفون البذور في الأرض، في قوله تعالى (أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ)، وأما أنا فقد أخفيت ودفنت بداخلي نبتة الفطرة وحملت لقب كافر.. كافر الفطرة.

الفطرة هي الأصل والأساس.. الدين لابُد منه لضبط الفطرة السليمة بما يُمليه علينا من فروض، أما بالنسبة لمن لم يُعاصر نزول الديانات، ومن لم تصل إليه الديانات؛ فالفطرة هي مقياس أعماله وعلى أساسها يُحاسب

ولكن بمُجرد نزول الديانات والعلم بها يُصبح الحساب على ما أنزله الله وأمر به، وأما فيما يُحير المُسلم والمسيحي في دخول الجنة والنار فلا بُد وأن يثق كلاهما بأن الله ليس بظلام للعبيد.. فالدين لله والفطرة للجميع، لا بد وأن نبحث عن بذرة الفطرة بداخلنا ونسقيها بأمطار الدين ولكن دون أن نُغرقها.

«**اسم أُمك إيه؟**»

أتذكر حينما كُنت في المدرسة وأجد أحد زملائي يسألني: «هو إنت اسم أُمك إيه؟»، لحظتها لا أشعر سوى بغضب شديد يعتلي ملامحي حين أزجره سريعًا: «وإنت مالك؟»، فيتراجع بثقة: «عادي يعني بسأل..مفيهاش حاجة». لحظتها فقط أجد فرصتي في افتراسه: «طيب إنت اسم أُمك إيه؟»، فيوجه نظراته إلى الأرض وينصرف مُستسلمًا حتى أشعر لأول مرة في حياتي بلذة الانتصار.

كما أتذكر أعز أصدقائي حينما كان يُقسم لي أنني لو ذكرت له اسم أُمي أولًا سوف يُبادرني هو بذكر اسم أُمه، وبعد أن أجعله يُقسم بعدم إخبار أحد باسم أمي بعد أن أذكره له، ألتصق به، وأهمس في أُذنه: «اسمها.. (اسم أُمي)..إنت بقى اسم أُمك إيه؟»، فيقترب نحو أُذني هو الآخر ويهمس: «اسمها أُم أحمد»، ثم تتعالى ضحكاته ويركض في طرقات المدرسة حتى يتركني أُعاني.

أتذكره حين تحول من أعز أصدقائي إلى ألد أعدائي، أتذكر قلقي واصفرار لوني حينما أجده يتحدث مع أحد أو يهمس في أُذن أحدهم، سرعان ما أتخيله يذكر للجميع اسم أُمي، وأتخيل العار الذي سوف يُلازمني ما بقي من عمري.

أتذكر مفارقة النوم لعيني، وفقداني للشهية والتركيز، أتذكر جيدًا اهتزازي وقبضة قلبي حين وجدت أحدهم يستفزني: «على فكرة.. أنا عرفت اسم أُمك»، فبادرته بمنتهى السذاجة: «كداب..طيب اسمها إيه؟»، فأجاب: «اعتماد»، أقسمت له على المصحف وجميع كُتب

الدين بأن هذا الاسم خاطئ، وهو لم يُصدقني، فلم أجد وسيلة لدفع عار هذا الاسم عني سوى بذكر اسم أُمي الحقيقي، فسخر مني: «شُفت بقى إن أنا عرفت اسم أُمك»، وتركني حتى أشعر لأول مره في حياتي بعار الهزيمة.

لحظتها عزمت على الانتقام وأهملت دراستي وتفرغت فقط لهذه المهمة.. مهمة معرفة أسماء أمهات زُملائي، وعرفت عددًا لا بأس به منهم، وقُمت بعمل جدول مُكون من خانتين، الأولى بها اسم الشخص، والثانية بها اسم أُمه، وحينما يُحاول أحدهم أن يبتزني سرعان ما أقوم بإخراج هذه الورقة حتى أُجري عملية البحث، وكلما زاد عدد أسماء أمهات الأشخاص بداخلها، كلما زادت ثقتي بنفسي وخمدت نار العار التي بداخلي، حتى أشعر لأول مرة في حياتي بلذة النجاح في العمل.

ومضت السنون..

لم أتذكر ما مضى ذكره على سبيل الذكريات، بل تذكرته حينما صادفت مُقابلة أحد أصدقاء الطفولة من مدرستي، وصُدمت حينما وجدته يقول لي: «الحاجة (اسم أُمي) عاملة إيه؟»، صُدمت حينما سمعته ينطق باسم أُمي، وانتابني إحراج شديد، وتغير لوني، وأصابتني نفس أعراض الطفولة، وسألته في توتر: «إنت عرفت اسم أُمي إزاي؟»، فدخل في نوبة ضحك مُستفزة دون أن يُخبرني، وبعد مُحاولات عديدة أخبرني أنني قد ذكرته له فيما قبل، لم أشعر بسؤالي حينما طرحته عليه بمنتهى السذاجة واضحة المغزى: «وإنت اسم أُمك إيه؟»، لكنه رفض أن يُخبرني به: «ما أنا قُلتهولك ساعة لما إنت قولتلي اسم أُمك».

أخذت أتذكر وأُقدم له العديد من التخمينات التي باءت جميعها بالفشل، وقد تشتت تفكيري كله طوال مُدة مُقابلتنا حتى صعب عليه حالي وذكر لي اسم أُمه، لحظتها فقط تنفست الصعداء، ولأول مره في حياتي أبحث عن المصدر الذي جعلني أخجل من ذِكر اسم أُمي، ولكنني لم أجده، لم أجد سوى أشخاصًا كُثُر إلى الآن يخجلون من ذكر أسماء أُمهاتهم، وأطفالاً ما زالوا يُمارسون تلك الخدع حتى يحظى كل منهم بمعرفة اسم أُم الآخر، كما وجدت أن البعض يُخفيها بشكل آخر حول مُصطلح «المدام» أو «الحاجة» أو «الست الوالدة» أو «العيال» أو «إسماعيل» باسم أكبر الأولاد.

هل بالفعل قد تلخصت رجولتنا في حجب أسماء أُمهاتنا؟ هل بالفعل تلخصت جميع معاني الأمومة في حالتها الاجتماعية أو في أدائها لفريضة الحج أو في حملها وولادتها أو في اسم أكبر أبنائها؟ هل بالفعل عاداتنا المُتخلفة جعلتنا نجعل من اسم المرأة عورة؟ هل نحن أعظم من القرآن الكريم حينما ذكر مريم عليها السلام؟ هل نحن أشد غيره من الرسول صلى الله عليه وسلم حينما ذكر أسماء زوجاته؟

حديثي ما هو إلا مُجرد دعوه للجرأة وعدم الحياء من ذكر اسم الأُم، وعدم حصر اسمها في مُجرد أفعال هي أعظم من أن تنحصر فيها.

«ابن البقرة»

لوحه مُزركشة بالعُشب، وزُرقة السماء، وترعة سمراء يسري بها البط الأبيض بعد أن حاوطتها عيدان الأرز الكثيفة، يرقد بداخل اللوحة فلاح في أواخر الستينات، يرتدي عمامة بيضاء قد أحكم لفها حول شعر رأسه الأبيض، بشرته سمراء غامقة تملؤها التجاعيد التي رسمت على جبهته العديد من علامات التعجب، ذقنه بيضاء حادة وكأنها تُنبت شظايا زجاجية.

دائمًا ما يراهُ الناس وكأنه جن جنونه عندما يجدونه يُحدث نفسه والأشياء من حوله، يُحدث والده الذي آواه منذ أن وُلد وفتح عينيه على الدنيا ليجد المكان ولا يجد من تركه به، المكان الذي اعتبره والده بكل ما تحمله الكلمة من معاني الأُبُوة، وجدها في الحائط الحجري الذي رغم قسوته كان دومًا ظهره ومن ساانده طوال حياته ولم يتخلَ عنه أبدًا حتى في أشد المحن.

قلما وجدت في هذه القرية الفقيرة من يُخرج أقل ما يُمكن إخراجه من جيبه حتى يُعطيه لهذا السائل كي يستطيع شراء ما يسد به جوعه، مما يجعله يربط على معدته حبلًا قد داب وتقطعت أوتاره من قوة عقده حول معدته، لم تكن هذه هي مشكلته، هو قادر على التحمل وكذلك والده الذي وجده صائمًا عن الطعام منذ أن وُلد، بل كانت مُشكلته الكبرى في أُمه العجوز، أم ضخمة بيضاء تغزوها بُقع سوداء ضخمة مُتناثرة حول جسدها، تُطلق ثديها الوردي على مرأى من الجميع، هذا الثدي الذي طالما أرضعه في طفولته، أمه هي البقرة التي وجدها إلى

جانب والده، تُداعبه بذيلها منذ أن فتح عينيه على الدنيا وهو مازال طفلًا رضيعًا.

ذات يوم توقف المُدرس أمامه للحظات ووجد طبقه الفضي خاليًا تمامًا من النقود، فقرر أن يُخرج من جيبه – ولأول مرة – أقل ما يملك ليعطيه، غرس المُدرس يده في جيبه الأيمن ولكنه لم يجد سوى قماشة الجيب، فكرر التجربة في الأيسر لتتكرر النتيجة، وظل هكذا يبحث عن أي شيء يعطيه له حتى أصبحت جيوبه البيضاء خارج البنطلون، حفظًا لماء الوجه، قرر أن يمد يده إلى السائل بالشيء الوحيد الذي وجده في جيب قميصه، علبة طباشير مُتعددة الألوان.

وفي وقت مُتأخر، لم يستيقظ فيه أحد سواه من الجوع، أخذ يشد في الحبل المعقود حول معدته حتى قُطع الحبل وأخذ في السعال الشديد حتى تقيأ في لحظتها عصارة المعدة وهواء فارغ، ثم أخذ يتأمل في أصابع الطباشير ويتذوق في جميع ألوانها لعل لونًا ما ينال إعجابه أو إعجاب والدته.

أمسك بأحد أصابع الطباشير وحاول جاهدًا أن يلتف إلى الحائط وهو جالس وأخذ يضع عليه بعض الشخابيط، ثم بدأ يستجمع قواه ويقف على رجليه ليستكمل شخابيطه حتى ظهرت ملامح رسمته: سرير واسع عليه مرتبة ضخمة وبعض ملامح لغرفة مليئة بما يجعله في قمة رفاهيته، مائدة مليئة بالطعام، ثم استغرق في النوم على سريره الوهمي حتى أيقظه صياح الديك ليجد طبقه الفضي قد امتلأ عن آخره بالنقود الفضية التي فاضت منه وتناثرت حوله على الأرض.

«**ما خفي**»

أتذكر قصة سفينة نوح حينما صنعها بوحي من الله بأن يحمل فيها من كل نوع من أنواع الحيوانات ذكرًا وأنثى، ويحمل فيها أهل بيته وكل من آمن معه من قومه؛ ليهلك جميع من تبقى من المُفسدين من قومه الذين كذبوا رسالته بالطوفان العظيم.

أتطلع نحو بناء سفينة نوحٍ أُخرى تحملني أنا وكل من ظل مُحافظًا على الإيمان بداخله، وظل حافظًا لمعنى الأخلاق في أفعاله، حتى نهرب من بلاء أنا على يقين بأن الله سوف يُرسله إلى مدينتنا حتى يُعاقبنا على خطايانا التي لا تفرق كثيرًا عن خطايا المُفسدين من قوم نوح.

ولكني أخشى أن تغرق بنا نحن السفينة ونهلك بذنوبنا الخفية، وينجى الباقون دون أن يُصيبُهم الطوفان بنواياهم الطيبة الخفية.

فمن حكمة الله أن خلق النوايا غير مرئية حتى نُفكر كثيرًا قبل أن نحكُم على مُجرد أقوال هوائية وحركات جسمانية.

«عطر النتانة»

سيدة مُطلقة قررت الارتباط ببائع عطور يصغُرها في السن بسبع سنوات، لم يكن يرغب يومًا في الزواج، لم تُحركه رغبته الجنسية إلى اتخاذ تلك الخطوة رغم العطور النسائية الحارة التي يغرق فيها يوميًا، بل إن الشيء الوحيد الذي جعله يرتبط بتلك السيدة المُطلقة هو الشيء الوحيد الذي افتقده في عمله وحياته، انجذب إلى رائحتها النتنة التي تنبعث منها.. عرقها الذي يتصبب منها، يُثيره مظهره تحت إبطيها، هذا المظهر الذي يترك بقعة كبيرة متناسقة إلى حد ما أسفل كل إبط، وجد بها ما لم تستنشقه أنفه أو تعتاده على مر السنين.

عدم الثقة بالنفس النابعة من داخل المُطلقة وحُبها الشديد له وقابليتها للتضحية بأي شيء في سبيل إسعاده جعلتها تُقرر الإنجاب منه، فقط لضمان استمرار العلاقة، حذرها الجميع من حدوث تشوهات خلقية للجنين أو احتمالات حصولها على طفل منغولي إذا أنجبت بسبب تقدمها في السن، ولكنها لم تبالِ لهم، مثلما لم يلقِ لها الحظ بالاً حينما فقدت رحمها إثر إجراء إحدى العمليات الجراحية.

لم يُعبر لها زوجها عما يجول بخاطره حينما استمر في عمله بشكل هيستيري وأصبح لا ينام، بل وفي كثير من الأحيان أصبح لا يعود إلى منزله ويبيت في محل العطور، ثم أصبح عصبيًا شيئًا فشيئًا، حتى أصبح يتجاهل زوجته تدريجيًا.

مخاوفها هي التي ترجمت أفعال زوجها وعصبيته وتجاهله لها، ترجمتها إلى رغبته الشديدة في الحصول على طفل وبأقصى سُرعة مُمكنة، حتى أنه لم يعُد يطيقها أو يطيق العوده إلى منزله.

لجأت بعد فقدانها الرحم إلى جميع الطرق التي زارت خاطرها، المشروعة منها وغير المشروعة؛ وفي كل مره تزوره بها في المحل لتُناقشه في هذا الموضوع يكون رد فعله أن يُمسكها من فوق كوعها ويسحبها إلى خارج المحل وهو يُلقنها درسًا بأنه لا يجوز أن تُفاتحه في مثل هذا الموضوع الذي لا يشغل باله تمامًا في محل أكل عيشه.

وحينما فاتحته في نفس الموضوع مرة أخرى وفي نفس المكان، أمسكها من كوعها مسكته المعهودة وسحبها إلى داخل المحل، ثم أشار إلى ما جعله مُنشغلًا عنها طوال الفترة الماضية.. أشار إلى أعلى الرفوف المُحملة بالعطور أمامه، ولكنها حين دققت النظر وجدت زجاجة عطر حريمي، سوداء اللون.. ضخمة.. غطاؤها يُشبه كثيرًا لفة الحجاب، بل إن شكلها في العموم يُشبهُها كثيرًا، وحينما استنشقت العطر.. استنشقت رائحتها النتنة.

«**رائحة الدم**»

أشخاص يقومون بترويع المواطنين، ويحملون الأسلحة والمُتفجرات، ويهجمون على الكنائس، وينتهكون حرمة الجوامع، ويُثيرون الفتنة الطائفية، ويعتدون على مُنشآت الدولة ومؤسساتها، ويحرقون أقسام الشرطة ويعتدون على الثكنات العسكرية، ويُحرضون المُعتصمين على الاشتباك مع قوات الشرطة ويسفكون الدماء ويستخدمون الأطفال كدروع بشرية، ويتخابرون لصالح جهات أجنبية لزعزعة الاستقرار والأمن القومي للبلاد، ويدعون الضباط للانقلاب على الجيش، ويقتلون المُجندين، وارتكبوا موقعة الجمل، واقتحموا السجون وهربوا المساجين وذبحوا جنود رفح، بل إنهم قادرون على حمل جميع الاتهامات المُقيدة ضد مجهول باعتبارهم الطرف الثالث، ويصيغون مصالحهم الدُنيوية في دعوة دينية.

هل من الطبيعي أن تكون كل هذه الجرائم صادرة عن مُجرمين أو بلطجية أو قتلة أو جماعة إرهابية أو المافيا ذاتها؟.. الشيطان نفسه غير قادر على ارتكابها جميعًا.

ربما هم أشخاص مُنومين مغناطيسيًا، ومسلوبة إرادتهم ويستغلهم أشخاص من الفضاء الخارجي في تحقيق رغباتهم، ولعلهم مُصابون بتعدد الشخصية، شخصية إرهابية شريرة، وأخرى بريئة تُنكر جميع الجرائم المُلفقة لها داخل قفص الإتهام. ربما يرون أشياء ويسمعون أصواتًا خيالية غير التي نراها نحن ونسمعها، كأن يتخيل أحدهم أنه هو الإله في يوم الحساب وقد جاء ليسلب الإيمان ويمنح الكُفر، وعلى أساسه يقوم بتنفيذ أحكامه بالثواب والعقاب. ربما المصريون القدماء هم من

نحتوا بداخلهم هذا التمرد الإرهابي حينما كان المؤدي لصلواته يُطبق عليه قانون الطوارئ، ربما أنت المُجرم الحقيقي.. لا تستخف بقُدراتك. هم مُذنبون بالفعل، لكنهم غير أسوياء.. لذلك لا بُد وأن نُودعهم بإحدى المستشفيات النفسية طويلة المدى، حتى نقوم باحتضانهم وعلاجهم وتأهيلهم على يد أكبر أطباء، بدلًا من مُعاقبتهم وإلقائهم في السجون حتى يتم الإفراج عنهم بعد حين، ولا بُد من استيعاب العديد من الأطفال والشباب المُشوهين فكريًا، حتى لا يثأر ابن لأبيه أو حفيد لجده، وتظل شوارعنا مليئة برائحة الدم حتى تعتاده أُنوفنا، خاصة بعد أن تجردنا من قيمنا ومبادئنا وأخلاقياتنا وسلوكياتنا وديننا وحُبنا لبلادنا وأرهبنا العالم بجهلنا، بعد أن تجرد حديثنا من القتل والسرقة والنصب والاحتيال والبطالة والإدمان وأطفال الشوارع وقمم القمامة والعشوائيات ومساكن الشباب والتحرش الجنسي والفساد الإعلامي ورغيف العيش وأزمة الأنابيب وأزمة البنزين وأزمة المرور وحوادث القطارات والأفلام الساقطة وقتلة الداخلية وحُكم العسكر ومُحاكمة رموز الفساد وتقسيم المُجتمع المصري والحرب الأهلية، هل الآن تجرد حديثنا من كل ذلك وأصبح شاغلنا الأكبر هو البحث عن المُجرم الحقيقي؟ صدقني ربما أنت المُجرم الحقيقي.. لا تستخف بقدراتك.

«المراية»

في أحد الأبراج الشاهقة ظهرت الرؤية من خلال دائرة صغيرة جدًا، ظهرت بجسدها الذي لا يستُره فستانها البنفسجي، تحمله حمالتان سوداويتان في رُفع خُصلة من خُصلات شعرها الذهبي، أصابت الهدف حين أدخلت المفتاح في قلب الباب وفتحته في بطء شديد، نظرت إليه وهي تضع سبابة يدها اليُسرى على شفتيه حتى يدخل بهدوء، دخلت ودخل خلفها وهو يمشي على أطراف أصابعه.

الرؤية الدائرية الضيقة انعدمت لدى صاحبها القزم الذي لا يطول أكرة الباب حتى يطول عينه السحرية، ولكنه قام بسحب أحد كراسي السُفرة وتسلق عليه حتى يتسنى له رؤية ما يحلو له من شئون جيرانه وأفعالهم، هذه هي حياته التي قتلها الفراغ.

غرق كلاهما في معركة شرسة.. المعركة تتوارى أسفل الملاءة الحريرية التي تظهر من خلالها بعض التحركات المنتظمة غير المنتظمة، وبعض الأصوات التي تتراوح بين الآه واللا، حتى قاطعهما صوت جرس الباب المُمتزج بصوت خبطات على الباب الخشبي؛ انتفضت والتقطت ما يُمكن التقاطه من ملابسها، واتجهت في خطوات مُرتعشة نحو الباب، ولكنها فوجئت حين ارتطمت بزوجها وهو لا تستُره أيضًا سوى ملابسه الداخلية ولا تُحركه سوى خطواته المُرتعشة نحو الباب الذي لم تتوقف دقاته.

حالة مُزرية وذهول مصحوب بصمت شديد ونظرات صادمة مُتبادلة أحالتهم أصنامًا نابضة، في هذه اللحظة كُسر باب الشقة ليقع صريعًا على الأرض ويُصبح مداسًا لرجال الشرطة الذين اقتحموا الدائرة التي

شكلها الأربعة أصنام؛ الزوج وزوجته وعُشاق فراش كل منهما.
يأمُر الضابط بإلقاء القبض عليهم جميعًا، وهو ينعتهم بأقذر الألفاظ التي وقعت على مسامعهم ومسامع الجيران الذين تجمعوا على صوت اقتحام الشرطة للمنزل حتى اختفى القزم بين أقدامهم، وأثناء استعداد العساكر للقبض عليهم، حركت الزوجة جسدها كاسرة حالة الصمت وتوجهت إلى الداخل ثم عادت وفي يدها ورقة ناولتها للضابط، وفي نفس اللحظة أخرج عشيقها ورقة هو الآخر وناولها للضابط بمُنتهى الثقة، اتطلع الضابط على الورقتين، ثم شرع في تقديم الاعتذار لأربعتهم، وأمر بالقبض على القزم.
صُدفة تكشف خيانة زوج أمام زوجته في نفس اللحظة التي تكشف فيها خيانة الزوجة أمام زوجها، وصُدفة أخرى جعلت من عُشاقهما أيضًا زوجين تجمعهم قسيمة زواج واحدة.

«ربنا ميرضاش بالظُلم أبداً»

من المؤكد أنك استمعت من قبل للعبارة الشهيرة التي تقول إن شعب مصر «شعب مُتدين بطبعه»، ولكن في الحقيقة أن شعب مصر «شعب فيه حِتة تديُن في طبعه».

حينما تُخصص العاهرة لهاتفها نغمة تتر مسلسل الشيخ الشعراوي «آمين يا رب العالمين..»، حينما تشعر برغبة في التسمية باسم الله قبل إشعال السيجارة، أو قبل أول نفس شيشة، حينما ترسم ملامحك أقصى علامات الخشوع والتضرع قائلًا: «يا رب Drinkies يبقى فاتح»، حينما ترتكب صغائر الذنوب وكبائرها، ولكنك حين تسمع صوت الشخير يتصاعد من أنف أحدهم تُعنفه: «بُقك بقى نجس أربعين يوم»، حينما تستمع إلى القاتل وهو يقول «كُله إلا سَب الدين»، حينما يضع صاحب المحل على بابه من الخارج لافتة «مُغلق للصلاة» بينما هو يُمارس الرذيلة بالداخل، حينما نلصق اسم الله ببعض المُحرمات تعبيرًا عن إعجابنا بها، حينما ندمج القَسَم بالله في السب والشتيمة، حينما تُكرم جارك بقطعة حشيش تحت مُسمى النبي وصى على سابع جار، حينما تشغلك فتوى السماح للزوج أو الزوجة بمضاجعة الطرف الآخر بعد وفاته بـ٦ ساعات تحت مُسمى جماع الوداع، وكأن حياتك قد توقفت عند حُرمانية هذه الفتوى.

حينما تُواعد إحدى فتيات الليل قائلًا لها: «كمان نُص ساعة»، فتُسارعك بمُنتهى الخلاعة: «قول إن شاء الله»، حينما تُلقي مُخلفاتك في الشارع ثم تُميط الأذى عن الطريق، مثل أن تُباعد زجاجة مكسورة

أو تزيل قشرة موز، حينما تهجُر جميع الصلوات ما عدا صلاة الجمعة والتي لابُد من تأديتها في الجامع، حينما يلتفت المُجرم إلى والدته قبل انصرافه من البيت قائلًا: «ادعيلي يا أُمي»، حينما ترى قُطاع الطرق يُقسمون سرقاتهم فيما بينهم بما أمر به الله من العدل، حينما تُعطي الفقير سيجارة في حالة عدم تواجد الفكة معك كنوع من أنواع الصدقة.
حينما لا يُفارق القرآن يدك.. لا تفوتك صلاة.. تغض بصرك.. لا تستمع إلى الأغاني.. تتوقف عن السب والشتيمة.. فقط في شهر رمضان؛ حينما ترتدي المُتبرجة الحجاب فقط في شهر رمضان، حينما يرغب الزاني.. الحشاش.. شارب الخمر في زيارة بيت الله الحرام.
حينما تسُب أحدًا بوالدته فتجد من بجانبك يُعنفك سرًا: «حرام عليك يا عم ده أمه ميتة»، حينما تطلب من صاحب المقهى أن يُخفض صوت الأغاني في وقت الآذان، حينما تُغلق الأغاني حين مرورك بسيارتك من أمام المقابر، حينما تتصدق العاهرة من أُجرتها، حينما يرغب المُغني الشعبي الراقص في بناء مسجد، حينما تُقيم الراقصة موائد الرحمن في رمضان، حينما تجد صورة إحداهن بمايوه قطعتين ثم تجدها في اليوم التالي قد كتبت «لا إله إلا أنت سُبحانك إني كُنت من الظالمين».
مواقف أُخرى كثيرة لا يسع ذكرها تُذكرني بالشاب السمين في فيلم «فيلم ثقافي» حين كان يؤكد على أصدقائه ألا يُشاهدوا الفيلم الإباحي بدونه قائلًا: «ربنا ميرضاش بالظلم أبدًا».

«**الكنز**»

بدأت القصة مُنذ لحظة ولادتي، حين وُلدت وقد تدلى من سُرتي كيس دُهني ضخم، لذلك لم أحظَ بطفولتي حين لاقيت من الأطفال حولي ما لم يلقاه كهل، نبذوني وأبعدوني عنهم لألقى وحدتي شاذاً لم أجد من يُجفف دموعي سوى كلمات أطلقها كبير القرية لأهلها ذات يوم بأن الله قد اصطفاني من بين جميع الخلق حتى يخلق من جسدي كنزًا. اتسعت الحدقات والأفواه بعد أن أخبرهم بأن بداخل هذا الكيس الدُهني كنز عظيم سوف يُغني القرية وأهلها، ولكن لن يظهر هذا الكنز إلا أمام زوجتي ومن أختارها شريكة لحياتي، ثم وجه نظراته العميقة إلى داخلي وحذرني بأني سوف أفقد الكنز إذا تعرض هذا الكيس لأي مكروه.

أصبحت كالطير المُحلق في السماء بعد أن زاد حُب أهل القرية لي وزاد اهتمامهم برعايتي وزاد تطلع جميع الأطفال لأُشاركهم اللعب، وازداد مع كل ذلك قلق ورعب أهلي على كنزي الدفين، وأصبحوا يُضيقوا على جميع تصرفاتي وأفعالي حتى ضاقت طفولتي وضاعت أمام عيني وأنا أُشاهد أصدقائي أمامي يلعبون ويمرحون ويتشاجرون ويُخاطرون من دوني وكأني قعيد بلا أرجُل، تطوف حول أُذني كلمات أهلي بأنني لست مثل البقية وليس لأحد كيس دُهني وكنز دفين يخشاه.

في فترة شبابي ازدادت خيبة أملي حين ضاعت حُريتي ومنعني والدي من التأخر في الوقت والسهر بالخارج خوفًا من الطامعين، كرهت حياتي وكنزي وكدت استئصله حتى أتخلص من تلك الرقابة اللعينة. لماذا ينطلق إخوتي والجميع من حولي دون أدنى قيود؟ هل مُجرد كيس يدفن حياتي ويفرقني عمن حولي حتى وإن كان يحوي كنوز الدنيا؟

لماذا لم يتوقف حديث كبير القرية عند كلمة الكنز، ولم يُضف بعدها تحذيره المُخيف بفقدانه؟ كُنت سأعتني به أنا وحدي دون أي تحذيرات منه ودون أدنى تضييقات من أهلي ودون هواجس القلق التي أعيشها كل لحظة. حتى في رحلة بحثي عن العمل وجدت من يمنعني عنه تحت مُسمى مالك الكنز لن يُعرض نفسه للخطر غير أنه في غنى عن المال الذي سوف يتلقاه.

انفجر الكبت بداخلي وتمردت حين التفت حولي كل الإناث بجميع أنواعهن طمعًا في كنزي، كنت أنال منهن جميع ما أُريد دون أن تمس إحداهن كنزي، وكالعادة لم يشغُل أحد سوى كنزي الذي لابُد وأن أصل به سليمًا دون أدنى خسائر إلى زوجتي الغامضة.

ذات يوم وفي أثناء سيري، تعرقلت في صخرة فسقطتُ على صخرة حادة سال بعدها النزيف من جسدي، التف الجميع حولي، ومزق والدي ملابسي عني بهمجية حتى ظهر الجرح العميق في جانبي ومازال الكيس مُنتفخًا لم يُمس بسوء، تنفس الجميع الصعداء بعد أن اطمئنوا على الكنز، ثم تركوني وحيدًا تنزف دمائي بلا توقف.

ثم جاء بعدها قرارهم الصارم بضرورة زواجي بعد أن ظللت حاملًا لكيسي الدُهني خمسة وعشرين عامًا، وبعد أن شاعت بين أهل القرية الشائعات.. وكانت أقواها أني أخشى الزواج بعد أن اختفى كنزي بعد تهتُك الكيس الدُهني في تلك العرقلة، جاء القرار من أُسرتي بخرس

الألسنة وتزويجي لأحلى بنات القرية وأغناها، تنفس أهلي الصعداء بعد أن اطمئنوا وأوصلوني بكنزي إلى بر الأمان.

وبعد انتهاء مراسم العُرس، وبعد انتظار جميع أهل القرية بالخارج للكنز الذي سوف يُغنيهم، وبعد أن اختليت بزوجتي وكشفت عن كيسي الدُهني، شعُرت بأنامل زوجتي وهي تعتلي كيسي الدُهني لينبثق منه مُجرد القليل من الدم الدافئ ليختفي الكيس وكأنه لم يكن.

«للأزمة لازمة»

لحظة انقطاع الكهرباء، حين يعُم الظلام حيث لا ترى شيئًا أمامك فتقوم بالخروج من عُزلتك وتبدأ بتحسُس الحائط والأشياء من حولك شيئًا فشيئًا، ثم ترتطم فجأة بأختك لتصدر منها صرخة ضاحكة يقطعها صوت أخيك الصغير يستنجد بمن يأخذ بيده ويدله على الطريق، ثم تتجهون ثلاثتكم إلى الغرفة التي يجلس بها الأب والأم، تجلسون في هذا الظلام على ضوء شمعة أو ضوء ينبثق من هواتفكم المحمولة، وهواء قادم من مصدر واحد فقط هو شباك الغرفة لتطول المُدة إلى عدة دقائق، دقائق تتبادلون فيها الحديث الإجباري، ثم يأتي النور فجأه ليُنير ابتسامة تعتلي شفاهكم، ثم يقفز كُل منكم فجأة من مكانه ويتجه نحو عُزلته مرة أخرى.

وأنت في صومعتك سوف تتذكر أن اجتماعكم في غُرفة واحدة في تلك الساعة لحظة انقطاع الكهرباء كان في غاية المُتعة التي تحرم نفسك منها يوميًا دون أن تشعر، وأنه مهما كانت هناك أزمات، مثل أزمة الكهرباء وانقطاعها، فهي لا تساوي شيئًا بجانب أزمة التشتت الأُسري الذي نعيشه، وكما أنك لم تشعُر بقيمة الكهرباء إلا حينما قُطعت، فأنت أيضًا لن تشعر بقيمة من أنت في عُزلةٍ عنهم إلا حينما ينقطعوا عنك وعن الحياة؛ فإذا أردت أن ترى النور.. تحرك الآن وأغلق مفاتيح الكهرباء.

«**الصرخة الصامتة**»

المشهد الأول في أحد شوارع الإسكندرية.. ثلاثة شباب يسيرون على الكورنيش، ثم فجأة يفيق ثلاثتهم على صوت صرخة فتاة مُحجبة، وإذا بها تركض في الشارع ويلاحقها ثلاثة وحوش بشرية، يُمسك بالفتاة أقربهم لها بهمجية، فتُقاومه بشدة وتُواصل ركضها، يأتي ثالثهم راكضًا بكامل قواه فيمسك برقبتها ثم يضع رأسها تحت إبطه، يعُضها بقبله في رقبتها بينما تغوص يديه في أشيائها، ينظر إلى صديقيه بالخلف بعزة النصر بعد أن انقض على فريسته، يتلاعبون بأُنوثتها وهم يُحيلون مسارها نحو إحدى الحواري على مرأى ومسمع من الجميع.

المشهد الثاني في أحد شوارع القاهرة.. شاب يسير بمفرده في الشارع، خطواته واسعة، يرمق فتاه صاحبة شعر قصير واقفة أمام شابين يظهر على ملابسهما التسول جالسين على ظهر إحدى السيارات، تُوبخ أحدهما أنه قد دهس قدمها قاصدًا ثم أراح جسده عليها، يدخل الشاب المُنفرد دائرة حديثهم ويستسمح الفتاة أن تنصرف في هدوء لأنه ليست هناك جدوى من تواجدها، تنصرف الفتاة فيُوجه الشاب حديثه نحو المُتحرشين بأنه لن يقبل أحدهما بأن يتعدى أحد على أخته ويضعها في مثل هذا الموقف، ينصرف عنهم في سلام دون أن ينتظر منهم ردًا، ولكنه يسمع في الخلفية صوتًا مزعجًا قد خرج من أنف أحدهما.

بالفعل؛ التقطت عيناي المشهدين، بعد الخطوه الإيجابية التي أخذتها في المشهد الثاني، سألت نفسي لماذا لم أتخذ نفس الخطوة في شوارع الإسكندرية بالرغم من أني كنت أسير مع اثنين من أصدقائي؟ توصلت إلى أن ما حدث في هذا المشهد هو أني نظرت إلى أصدقائي وإلى الشارع

المليء بالمارة وقلت لنفسي لا أحد منهم يفعل شيئًا، لا أحد يتخذ أي رد فعل، فماذا أنا بفاعل وسط كل هؤلاء؟!

ما فعلته هو أنني قمت بتوزيع مسئوليتي تجاه هذا الموقف على جميع من حولي حتى أخليت نفسي منه، أما في المشهد الثاني شعرت بمسئولية قاتلة تُلقى على عاتقي وحدي تجاه تلك الفتاة، لم أجد إلى جانبي شخصًا ألقي عليه المسئولية حتى أُريح خاطري وأتخلص من شعوري بالذنب.

وهذه الخصلة قد التصقت بنا منذ أن كنا أطفالًا في المدرسة، حين كان يسألنا المدرس: «هل هناك أحد لم يفهم الدرس؟»، فتجد الجميع يلتف حوله ليرى من هذا الذي لم يفهم الدرس، ولا أحد يجد أحدًا، وفي الحقيقة أن جميعنا لم يفهم الدرس، ولكن جميعنا يخشى أن يكون هو الوحيد الذي لم يفهم الدرس.

وهنا تحدث الكارثة، حين يلتزم الجميع السكوت. الدرس هو أنه كلما زاد عددنا في مواجهة موقف خطير، كلما قل شعورنا بالمسئولية تجاهه، أو كلما وجدنا أشخاصًا أكثر نُوزع عليهم محتوى المسئولية الواقع على عاتقنا.

الآن فقط قد علمت سبب وجود التحرش الجنسي في وضح النهار أمام عشرات ممن ألقى كل منهم مسئوليته على عاتق من بجانبه ليعُم السكوت.

تحمل المسئولية حتى وإن كنت وحيدًا تجاهها ولا تخشى الوحدة؛ يومًا ما سوف تخشاك هي وتتركك وحيدًا.

«نُص دايرة»

الحياة..أتخيلها كالدائرة الضخمة التي يسير بأوسطها خيط رفيع ليقسمها نصفين مُلتصقين، أتخيل نفسي أحد النصفين، أتطلع إلى النصف الآخر حتى أجده فيمن اخترتها.

أصبح لكل منا الآن نصف يملؤه، ما زال الخيط الرفيع يسري بين نصفينا، هذا الخيط هو الله.. لن يستطيع أحدنا أن يذهب لنصفه الآخر في أي وقت دون المرور بهذا الخيط الرفيع، دون الشعور بوجود الله فيما بيننا في جميع الأمور، نراه.. نشعر به.. نخشاه ونطلب رضاه، أجدها حياة سعيدة مُكتملة نظيفة خالية من كل الشوائب القادرة على تعكير صفو أي دائرة.

من أين تأتي الشوائب بعد رؤيتنا لهذا الخيط الرفيع! أحببنا في الله، فصار سمعنا الذي نسمع به، وبصرنا الذي نُبصر به، ويدنا التي نبطش بها، ورجلينا التي نمشي بها، أشعر بهالة دائرية مُنيرة أحاطت دائرتنا الضخمة.. تحمينا، أيقنت أنها حماية الله لدائرة الحياة.

«الحاجة باربي»

افترش سجادته الزرقاء إلى جانب سجادتي، وسط زحام صلاة الجمعة، كان يبدو عليه أنه هو جَد الطفلتين اللتين افترشتا سجادتهما عن يمينه وعن شماله. طفلتان توأمتان غاية في الرقة والجمال، في عُمر الخامسة تقريبًا، أحاطاه كالملائكة، لديهما سجادتان صغيرتان توأمتان تحملان اللون الوردي ورسومات الزهور، ترتدي الطفلتان حجاب الرأس بنفس لون ورسم السجادة، حتى ظهرتا كعروستي باربي المحجبة.

جذبني كثيرًا منظر الفتاتين وتحرُكاتهما الدقيقة، والتفاتهما البريء في نفس التوقيت إلى جدهما حتى يفعلان مثله، تُحركان شفتيهما بنفس طريقته دون نُطق أي شيء سوى أصوات حرف السين العشوائية وكأنها تسبيحات خافتة، تُغمضان أعينهما وتفتحانها ببطء بنفس طريقته مُحاوله للتضرُع والخشوع والخضوع.

لمحت فجأة في الصف الأمامي طفلًا في نفس عُمر الطفلتين وجمالهما، وجدته قد التفت نحو احداهما برأسه ثم برقبته ثم بكامل جسده، التفت ينظر بمُنتهى البراءة والسذاجة نحوها، وجدت عينيه تقول الكثير والكثير لها، ثم كرر ابتساماته نحوها دون كلل أو ملل، نظر نحو الطفلة بعد أن كسا الخجل والاحمرار وجهها، تحولت النظرات والابتسامات إلى إشارات وسلامات.

وأخيرًا في لحظة السجود، لحظة سجد فيها جُموع المُصلين دون أي استثناء، سوى الطفل والطفلة وهما غارقان في عشق النظرات الفاضحة

وأعينهما تطرح العديد من التساؤلات والأجوبة، لم أتخيل لحظة أنه سوف تُولد قصة حُب بين فتى وفتاة أثناء تأديتهما لصلاة الجمعة.
أفقت فجأة على صوت تكبيرة الرفع من السجود، بعد أن فاتتني السجدة مع الطفل والطفلة، لم يكونا وحدهما واقفين حين سجدت الجموع، استغفرت الله.. واستعذت بالله من الشيطان الرجيم، ودعوت الله أن يتقبل منهما صلاتهما الطاهرة البريئة، دعوت الله أن يجمعهما عند الكبر في الحلال دون حتى أن يعلم كلاهما أنهما عاشا تلك اللحظة بكل صدقها وبراءتها، فالبراءة هي كلمة لم نعُد نسمع عنها سوى من القاضي في المحاكم ليُطلق النساء بعدها مجموعة من الزغاريد!

«يا رب مراتي متموتش أبدًا»

في ليلة من ليالي ألف ليلة وليلة، وفي إحدى سَفرَات السندباد البحري حين رمته البحار وأوصلته الأقدار إلى بلدة ما، أصر ملكها على أن يُزوج السندباد بإحدى بنات البلدة، وبعد عدة أيام من زواج السندباد اكتشف طقوس هذه البلدة، وهي أنه إذا ماتت المرأة يدفنون زوجها معها حيًا، وإن مات الرجل يدفنون معه زوجته حية، حتى لا يتلذذ أحد منهما بالحياة بعد شريك حياته، وحتى لا يُفرَق بينهما في الحياة ولا في الممات.

مُجرد هاجس قد راودني إذا قرر ملك بلدتنا أن يُطبق هذا القانون فيها، ماذا سوف يفعل كلا الطرفين حفاظًا على حياة الآخر، والتي هي أصبحت الآن بمثابة حياته!

أعتقد أنه لن يلجأ كلا الطرفين إلى الاعتداء على الآخر جسديًا بالضرب والركل والصفع والحرق والرمي بالأشياء الصلبة والحادة والعض والخنق وكل ما ينحصر في ألوان الأذى الجسدي، لن يعتدي كلا الطرفين على الآخر عاطفيًا بالإهانة والإهمال والحرمان والتقليل من شأن الآخر والانتقاص من قيمته وابتزازه وعزله عن مُحيطه الاجتماعي ووصفه بأقبح الألفاظ والشتائم وتقييد حُريته وانتهاك خصوصيته وتهديده وتوجيه الانتقادات اللاذعة له والتي تهدم ثقته بنفسه.

لن يعتدى كلا الطرفين على الآخر جنسيًا عن طريق استخدام القوة الجسدية ضد الطرف الآخر لإجباره على المشاركة في فعل جنسي دون رغبته، فيما يقع تحت مُسمى الاغتصاب الزوجي، سوف يزداد اهتمام كلا الطرفين بالآخر فيما يختص بصحته النفسية والعصبية والجسدية،

ولن يلجأ أحدهم لافتعال المشاكل التي سوف تولد الأرق والإرهاق والمرض والتوتر والاكتئاب والنكد وكل ما سوف يؤدي نحو نُقصان في العمر، سوف ينشأ الخوف والهلع في تصرفات كلا الطرفين خوفًا على سلامة الآخر، ولربما يضع كل منهما الآخر في غرفة حديدية مُغلقة ويعزله تمامًا عن العالم حتى لا يمسه أي ضُر، سوف تخلو صفحات الحوادث من عناوين من فصيلة «رجل قتل زوجته» و «امرأة تقتل زوجها وتُقطعه أجزاء وتضعه في القمامة»، سوف تشعر بمدى مصداقية دعوة الزوجة حين تدعي «ربنا يجعل يومي قبل يومك»، وحينما يرفع الرجل يده نحو السماء «يا رب مراتي متموتش أبدًا».

مُجرد أُسطورة خيالية ولكنها سوف تقضي نهائيًا على قضية واقعية، لمُجرد أن كلا الطرفين تخيل أن انتهاء حياة الطرف الآخر سوف تكون نهاية لحياته هو أيضًا، لمُجرد اقتناع الطرفين بأنهما روح واحدة سوف يلفظان آخر أنفاسهما سويًا، أعتقد أنه إذا تم تطبيق هذا القانون فعلًا على أرض الواقع لن تكون حصيلة عدد الأشخاص الذين سوف يموتون والأشخاص الذين سوف يدفنون أحياء مع أقرانهم أكثر من عدد الأشخاص الذين يموتون يوميًا بسبب العُنف الأُسري، وإذا لم يتم تطبيق هذا القانون فهناك بالفعل أشخاص يلفظون أنفاسهم الأخيرة حُزنًا بعد وفاة شُركاء حياتهم.

«كيف تتصرف إذا هاجمك كلب؟»

تسعى وحدك ليلًا في أمان الله حيث يحملك الطريق نحو هدف ما، تُحرك قدميك ويديك في حركات متناسقة، وعقلك غائب عنك لا يتوقف عن التفكير في أمور الحياة ومواقفها، وفجأة.. ينتفض جسدك بأكمله وكأن الكهرباء قد سرت فيه، يتوقف قلبك عن النبض لرمشة عين ثم يُعاود لتُسمع نبضاته للحي بأكمله حين يظهر أمامك كلب قد وَجَهَ رأسه نحوك بأصداء نُباحه الذي لا ينقطع.

والسؤال هنا: «كيف تتصرف إذا هاجمك كلب؟».

الزم الهدوء التام، ولا تنفعل ولا تتوتر؛ لأن الكلاب تتمتع بخاصية تجعل حاسة الشم لديها قادرة على أن تشم هرمونات الخوف لديك، لا تُعير الكلب أي انتباه أو اهتمام، ولا تلتفت له حتى لا تظهر أمامه في موقف تحدٍ لا يليق بشخصك، لأنه كلما قل اهتمامك به وبدوت هادئًا وغير مُتحفز، كلما شعر بأنك لا تُمثل تهديدًا له؛ ابتعد قليلًا عن الكلب، ولا تركض أبدًا أمامه لأنه في ذلك إشارة إلى خوفك وضعف موقفك مما سوف يُثير غريزة الكلب لمُطاردتك ومُلاحقتك، تحاشى النظر في عينيه، وقم بتثبيت خطواتك في الأرض، حتى ينقطع نُباحه ويرحل، لأن الكلب يفقد اهتمامه لأنه يتمتع بذاكرة اهتمام قصيرة الأجل، ليواصل مُهاجمة أشخاص آخرين.

إذا اقترب منك الكلب بشكل مُبالغ فيه وقرر مُهاجمتك، لا تُعطه سوى حذاءك حتى تضعه في فمه، الأمر الذي سوف يشل حركته تمامًا، لا تحاول ضرب الكلب أو ركله، لأنه يُكثر من إفراز هرمون الإندروفين أثناء

هجومه عليك مما يُخدر أحاسيسه الجسدية والعقلية ليتمتع بخاصية الجلد السميك.

وأخيرًا.. لا تجعل عاطفتك يُثيرها كلب مربوط بسلسلة حديدية، فتتجه نحوه حتى تحنو عليه، لأن الكلب الذي يقضي وقتًا طويلًا وهو مُقيد يكون غاضبًا بشدة، وربما يُعاديك؛ اكتفي بالتلويح له من بعيد.

جميع ما سبق هي معلومات علمية حقيقية بالفعل تم حصرها حتى تعلم «كيف تتصرف إذا هاجمك كلب؟»، في زمن التفتنا فيه كثيرًا للكلاب حتى تبدلت الأدوار وأصبحت «القافلة تعوي والكلاب هي التي تسير»، فإذا أردت التصدي لأي كلب يعترض طريقك، إما أن تتجاهله أو أن تتحول إلى كلب مثله.

« شرًا تعمل خيرًا تلقى »

استيقظ من نومه فزعًا على آهات مُتقطعة مكتومة، حركت أُذنيه خطواته نحو الآهات التي أخذت تعلو حتى صارت صرخات تُمزق الأحبال الصوتية، تلك الصرخات الصادرة من والدته التي وجدها تنتفض على الفراش بشده من الألم، كان الفراش يهتز بقوة لاهتزازها، تصدر عنه أصوات مفاصل الحديد الصدئ، كاد الفراش أن يشتعل نارًا من حرارة جسدها لولا عرقها الذي أطفأ لهيبه.

انصرف الطبيب كالعادة بعد أن ترك خلفه ورقة مليئة بالأدوية التي ربما تعمد اختيار أغلاها ثمنًا، اطمأن الشاب على والدته حتى انطلقت في غياهب النوم لينطلق هو إلى المقهى ينفث دخان النارجيلة في وجه صديقه حتى يتلاشى الدُخان كما تلاشى أمله الوحيد في أن يُقرضه هذا الصديق مالًا كي يبتاع به دواء الداء.

انصرف من المقهى في طريقه إلى البيت يستدعي كلمات صديقه من الذاكرة، كيف لصديقه أن يقترح عليه أن يسرق جارته؟ تلك الشابة الوحيدة التي تعيش في بلادها غُربة بعد أن سافر زوجها إلى الخليج، ألقى بفكرة صديقه في هذا الكيس الأسود الضخم الذي يحرس باب منزله ويجمع قمامته، ثم دخل غرفة والدته كي يطمئن عليها.

صُدم حينما وجد حورية نائمة إلى جانبها، حورية يسيل شعرها على الفراش في جو ملائكي خاص. وجد جارته الشابة نائمة وهي مُمسكة بكف والدته في حنان لم يعهده من قبل، اللعنة عليك يا صديقي، كيف لي أن أسرق حورية!

ازداد إلحاح صديقه على فكرة السرقة، كلما زاد إلحاح المرض على والدته حتى تسلل الشاب ليلًا إلى منزل جارته، قام بسرقة ما استطاعت أن تحمل قبضتا يديه من الذهب، وحينما حان وقت انصرافه وجد ظلًا يُطارده، تحول الظل إلى حورية تصرخ.. تستغيث، أسرعت خطواته نحوها، كتم صُراخها بيده، لم يكن يعلم أنه كتم أنفاسها حينما سقطت بين قدميه دون نبضة واحدة يلفظها القلب.

بعد صعوبة شديدة استطاع أن يُسيطر على رعشة يده، وضع المُفتاح في باب منزله، وجد والدته جالسة وإلى جوارها رجل أنيق، استغرق منه التشبيه لحظات.. هل هو بالفعل؟ هل حضر اليوم بعد غياب ثلاث سنوات متواصلة؟ هل هذا بالفعل هو زوج الحورية الذي قتلها مُنذ لحظات؟

أخرست والدته تساؤلاته الذهنية وهي في غاية السعادة حينما أخبرته أن زوج حورية قد حضر إليها قبل حتى أن يذهب إلى زوجته، حضر إليها خصيصًا من الخليج حتى يُهديها بعض الأدوية!

«طُموح إبليس»

في حياة كل فرد منا قُدوة.. لك أنت قُدوة، سواء كنت تعلم ذلك أم تجهله، سواء كانت القدوة حسنة أم سيئة، صورة ما تستفزك وتُثيرك وتجذبك نحوها طمعًا في أن تُطفئ نار غيرتك بأن تُصبح مثلها وأعظم منها، ليس من الضروري أن تقتدي بالصورة كاملة، فمن المُمكن أن تختار صورًا عديدة وتقتدي بخصلة واحدة أو أكثر من كل صورة حتى تكتمل الصورة المُشبعة لديك؛ لتُصبح أنت شخصيًا قدوة كاملة أو مُجزئة لغيرك، سواء كُنت تعلم ذلك أم تجهله، سواء كُنت قُدوة حسنة أم سيئة، ومن أشد قناعاتي في إطار اتخاذ القدوة أنه كلما زاد قبح صفات المخلوق زادت القيمة المُستفادة منه، ولذلك قد نوَيت أن أتخذ قُدوتي من أقبح مخلوق على وجه الأرض.. إبليس.

كان إبليس أشرف ما خلق الله وكان مطبوعًا على المحبة لا يعرف غيرها، خلقه الله من نار، الأمر الذي جعل إبليس يعصي قول الله حين أمره بالسجود لهذا المخلوق من طين المُسمى آدم، ومن هنا أقسم إبليس أن يُعادي ابن آدم الذي تسبب في طرده من الملأ الأعلى، ومن هنا قد اتخذت قدوتي، اتخذتها من أعظم طموح رأيته في حياتي.

طموح إبليس.. حينما توعد آدم وذُريته حتى يوقعهم في الكُفر وصغائر الذنوب وكبائرها، وصدهم عن فعل الخير وطاعة الله، وإفساد طاعاتهم، طموحه في مُحاربة آدم وإدخال الحيل عليه حتى يُخرجه من نعمة ربه، طموحه في السيطرة على لسانه ويديه ورجليه ونظره وأُذنيه وجميع حواسه حتى يُميلها نحو الشهوات ويجعلها سببًا للجحيم لا النعيم

طموحه في أن يصحب أكبر عدد ممكن من بني آدم حتى يجعلهم شركاء له في السخط والطرد من رحمة الله، طموح تحدى به العالم كله، حتى حينما ذهب منه المكسب، قرر ألا يخسر وحيدًا، وحينما خلق الله لآدم سلاح التوبة حتى يقهر به عدوه إبليس، لم ييأس إبليس ولم يتراجع، بل كثف مجهوداته حتى يُحقق طموحه دون كلل أو ملل، إلى يوم الوقت المعلوم، ومن هنا يتضح لنا جميعًا أن عشم إبليس ليس في الجنة، بل في إلقائنا جميعًا في النار، ولذلك قد قررت أن أتخذ من طموح إبليس ما يجعلني طموحًا بما يكفي حتى أستطيع قهر طموحاته، فأعوذ بالله من إبليس في كل شيء فيما عدا طُموحه.

«ليه يا رب مخلقتنيش بقرة؟»

«بُص على نُص الكُباية المليان..متبصش على النُص الفاضي»، جملة مُفعمة بالتفاؤل؛ كثيرًا ما تتساقط على مسامعنا فور أن يشتكي أحدنا حاله، ودائمًا من يقول لك تلك الجملة هو في الأصل أبعد ما يكون عنها، ولا ينظر سوى لـ «النص الفاضي»، وفي الأغلب تكون هذه الجملة صائبة لأننا دائمًا لا ننظر سوى للجانب السلبي من الحدث ونترك إيجابياته، ولكن هل هذا الكلام ينطبق على شخص عاطل؟ أخذت أبحث بجدية واسأل نفسي.. ما هي المميزات في كونك عاطلًا؟

نومي واستيقاظي في أي وقت وبأي مُدة دون أي مُنبه لعين يتسبب في ازعاجي، لحظة مُقابلتي لأحد أصدقائي الذين لم يُصبهم داء البطالة ولكنه لم ينقطع حديثه عن مشاكل العمل ومواعيده وروتينه وتسلط مديره، لحظتها فقط أضحك ضحكة شريرة في داخلي وأقول له بمنتهى الثقة: «بُص على نُص الكُباية المليان»، وحينما أعبر طُرقة المنزل وأقابل والدي بالصدفة فأجده يصرخ في وجهي مُتمردًا على حالي بدون عمل وكأنني قد تماديت في رفض عقود العمل المُقدمة، وهذا بالطبع يملؤه إحساسًا بأنه ما زال مُسيطرًا على زمام الأمور، حينما أجد أحد أصدقائي قد كرموه ليُصبح ضابطًا في الجيش فأقوم لأتوضأ وأُصلي ركعتي شُكر لله لأني أجلس في بيتي حتى وإن مكثت الثلاثة سنين عاطلًا، ثم أجد نفسي تلقائيًا أشد على يده قائلًا بنبرة حزينة: «بُص على نص الكباية المليان»، حينما أتجنب شدة العمل والعصبية والضغط والإرهاق وحرقة الدم وكل ما سوف يكون عاملًا رئيسيًا في ارتفاع متوسط عمر الإنسان

العاطل، ومُتعتي في جلسة تجمعني بأصدقائي «العواطلية» على المقهى في لحظة الفجرية دون أن ينصرف أحد معتذرًا بأن لديه عمل في الصباح الباكر، ومحافظتي الدائمة على بشرتي من أشعة الشمس الضارة حيث لا أضطر إلى النزول بالنهار ولا يحرقني جلد فرش السيارة المُلتهب حين أركبها، وأملي المتجدد يوميًا أن أجد في خانة وظائف خالية إعلانًا بعنوان: «مطلوب عاطل.. خبرة لا تقل عن ثلاث سنوات»، وحينما أطلب من والدي المصروف وأنا في مثل هذا السن، ما يُشعره بأنني مهما تقدم بي العُمر سوف أبقى تحت طوعه ولن أكبر عليه مهما كبرت، ولذلك يُسمعني كلمات من قبيل: «لو كنت مخلف بقرة كنت حلبتها واستفدت من لبنها»، لحظتها أرفع رأسي نحو السماء مُتظلمًا: «ليه يا رب مخلقتنيش بقرة؟».

وجدت العديد من المُميزات القادرة على ملء خزان مياه كامل وليس نصف كوب واحد فقط، وتنبهت إلى أن «نص الكُباية المليان» قد يكون مملوء بشيء لا أرغبه، وأن «النص الفاضي» قد يكون مُمتلئًا بهواء لا بُد وأن أتنفسه، لذلك لن أنظر إلى «النص الفاضي»، ولن أنظر أيضًا إلى «النص المليان»، سوف أنظر إلى الكوب نفسه وأشكر الله فغيري ما زال لا يملكه.

«الفراغ»

بعد إجراء عملية جراحية حرجة لتلك البطن التي حملت واحتملت، احتضنت، أرضعت وأطعمت كل من كتب الله له الحياة على وجه تلك الأرض التي أنبتت كل ما تشتهيه الأنفُس من عادات وتقاليد يلتزم بها الأهل، أرض من أفقر الأراضي، وحيدة، مُنعزلة، لا يعلم عنها أحد شيئًا سوى فقرها وضخامة عدد سكانها.

تعلم أهلها بها وتعودوا على أن جميع من يُولد بها يُولد برزقه، شبيه لوالده ووالدته، يُولد ذا نسب يُنسب إليه، يُولد كي يتربى على قواعد الأرض وتقاليدها، كي ينال قسطًا مُقسط على مدى حياته من التعليم الذي يستقيه من الحياة حتى يُقرر البحث عن نصفه الآخر من بنات أرضه، يعيش ما تبقى من حياته إما محاولًا الوصول إليها وإما محاولًا الحفاظ عليها.

دوت صرخة هزت أرجاء القرية وشقت الأرض لاستقبال مولود جديد من مواليدها، ولكن في هذه المرة – ولأول مرة – لم يعلم أحد هل هذا المولود شبيه لوالده أم والدته؟ لم يعلم أحد حجمه وبنيانه، لونه وملامحه، صحته، هل هو ذكر أم أنثى؟ هل هو إنسان أم حيوان انزلق من رحم امرأة؟ هل سوف تحمله أمه؟ هل سوف تحتضنه وتُطعمه وتُرضعه؟ هل سينال تلك الأقساط التعليمية؟ هل سوف يجد له نصفًا آخر؟ لا أحد يعلم.. الله وحده هو الأعلم.

وُلد بلا أعضاء، وُلد بلا أيادي.. بلا أرجُل.. بلا عيون.. بلا أُذن.. بلا فم.. بلا أنف، بلا ملامح، بلا رأس، بلا رقبة، بلا صدر، بلا ظهر، بلا

أمعاء أو أحشاء أو أية أشلاء، بلا معدة أو كبد بلا رئة أو رئتين، بلا كلية أو كليتين، بلا قلب.

ظل الفراغ مُتمسكًا بهذه الأرض حيث وُضع ولم يتحرك، ومهما حاول المحاولون رفعه عن وضعه بشتى الطرق، أكد هو بخطواته الثابتة بدون أرجل أنه لا مجال للتحرك، صمم على عدم رحيله أو انتقاله مثلما صمموا هم على التعامل معه على أنه قطعة فنية نادرة الوجود، وافقوه على رأيه وجعلوه حيث يلتصق، ولكنهم أحاطوه بمربع زجاجي سميك، لم يتعامل أحد معه على أنه كائن حي له حق في أن يُحمل ويُحتضن ويُرضع ويُطعم ويتعلم، لم يتعامل معه أحد على أنه له الحق في التعليم، لم يتعامل معه أحد على أنه له الحق في البحث عن شريكة حياته من بنات أهل قريته، وكأن ولادته بلا أعضاء جعلته ظاهرًا لهم بلا روح نُفخت فيه.

كانت طريقة الرؤية الوحيدة لمن يريد رؤية هذا المولود هي أن يستلقي على بطنه على الأرض استلقاء كاملًا حتى يُصبح ملاصقًا هو الآخر للأرض، وكان بمجرد التصاق الرائي بالأرض يكون هذا هو وضعه الأخير ولا يستطيع الاعتدال عنه بقية حياته، حتى من كان يعلم ذلك لم يقدر على مقاومة ما يحتويه هذا المربع الزجاجي ويستلقي على بطنه ويلتصق وإن كان هذا هو آخر وضع له في الحياة حتى لم يبقَ هناك شخص واحد لم يُلاصق جسده الأرض.

وفي إحدى الليالي، بدت على المربع الزجاجي حركة غريبة حتى انفجر

وتحول إلى فتات زجاجي امتزج بتراب القرية، تحرك الفراغ من مكانه الملتصق به وأخذ ينتفض ويتراقص، حتى وصل الفراغ إلى وجهته المُرادة، وصل المولود لمولود هو الآخر وُلد بلا أعضاء؛ بلا أيدي، بلا أرجل، بلا...

انطلق كلاهما في الفضاء.. بعيدًا عن تلك الأرض التي أصبحت كالمدافن، ولكنها مدافن تطفو جُثثها فوق الأرض وليس أسفلها.

«حاليًا بجميع دور الدعارة»

نظرًا للحالة الاقتصادية المُتردية والتوقف الإنتاجي السينمائي، تم تخصيص بعض شاشات السينما في دور الدعارة حتى يتم من خلالها عرض وبيع الخدمات الجنسية عن طريق بعض العاهرات والمُنحرفين في قالب درامي، ويتبنى تلك الحملة أشهر المُنتجين القوادين الذين رفضوا أن ينحدر حال البلد اقتصاديًا حتى وإن انحدر أخلاقيًا.

جاء قرارهم بتخصيص تلك الشاشات الضخمة داخل تلك الدور، والتي تم تنفيذها بنفس تصميم دور العرض السينمائية، وبنفس سعر تذكرتها، وتم رفض وضع كلمة «للكبار فقط» دفاعًا عن حرية أي شخص في مشاهدة أي عرض.

وصرح المُنتج الشهير بأنه هو الوحيد القادر على إنعاش البلد اقتصاديًا في تلك الفترة؛ لأنه بتلك العروض سوف يعود بالنفع على الحكومة التي سوف تحصل على إيرادات ضريبية ضخمة، وأضاف أن الدعارة أصبحت شيئًا أساسيًا في تعاملاتنا اليومية؛ في التجارة والصناعة والزراعة والآداب والصحة والإسكان والتعليم، وبالطبع لا بد وأن نُشيد بالدعارة السياسية؛ ولذلك كان لزامًا علينا كمُنتجين أن ننهض بالدعارة السينمائية.

وحينما سألناه عن موقفه من شرطة الآداب لما ينص عليه القانون المصري وفقًا لقانون مُكافحة الدعارة، رفض المُنتج بمنتهى الحدة هذا السؤال مُقارنًا بين دور البغاء وتقديمها للخدمات الجنسية بشكل كامل مُقابل عائد مادي، وما بين دور الدعارة السينمائية التي لا تقوم سوى

على صناعة الجنس وعرضه في مُجرد شاشة مثل رقص التعري والإيحاءات الجنسية والأغاني المُحرضة والمشاهد الجنسية المُثيرة وغيره.
وأضاف أنه بالفعل يُفكر في تطوير الفكرة، ولكن إلى مُجرد العروض المسرحية، أما فيما يختص بالجنس الكامل فهذا الشيء ضد أخلاقياته ولا يسمح به رغم أنه سوف يعود بنفع مادي أكبر.
وحينما واجهناه بأن عروضه السينمائية ليس لها أي تأثير في المواطن المصري، رد بمُنتهى الثقة بأنه لا بد وأن ننظر اليوم إلى هذا المواطن المصري بمختلف أجناسه وأعماره من أول تسريحة شعره وطريقة لبسه وحركات جسده وألفاظه، مرورًا باختياره للأغاني ورقصه عليها بالأسلحة البيضاء؛ حتى الفهلوة والبلطجة والفوضى والعُنف والمُخدرات والهمجية والتعصب والكراهية والعشوائية والتحرش والإيحاءات الجنسية وانحدار الذوق العام لديه، ولا بُد وأن ننظر إلى هذا كله وسوف نعلم جيدًا مدى التأثير الداعر لأفلامه على المواطن المصري. وفي نهاية حديثنا سألناه إذا أراد أن يختتم كلامه برسالة ما، فأجاب مُتأثرًا: «لا يسعني إلا أن أقول (لكِ الله يا مِصر)».

«خيال المآتة»

رغم اختلاف أنواعنا وأشكالنا وألواننا وأحجامنا وعاداتنا، دائمًا ما تجدنا كالطيور مُحلقين في سماء الخالق بعد أن رفعنا أعناقنا وأطلقنا مناقيرنا في حِدة وشموخ، فرحين بصوتنا العذب الرنان ومظهرنا الخلاب، بعد أن كسا جلودنا الريش الناعم، وانبثقت من أجسادنا تلك الأجنحة القادرة على أن تأخذنا في رحلة نحو أبعد وأعلى القمم، حتى نرى ما لا يراه سوانا، ولكن فور ما نلمح تلك الحبوب المنثورة في إحدى الأراضي الزراعية الخضراء ونتطلع نحو التقاطها حتى نسد جوعنا ونُحقق هدفنا، لا يُفزعنا ويُثير مخاوفنا سوى خشبتان قد تقاطعا ليُشكلا صليبًا يكسوه جلباب أبيض محشي بالقش.

ورغم كُل ما نملك من مقومات، كنا نستعرضها بكل فخر، إلا وأنه قد أصابنا الرعب من هذا الخيال؛ لأننا – وبمنتهى البساطة – لم نُفكر لمجرد التفكير في المُغامرة والمُجازفة والاقتراب منه واستخدام ولو عُشر ما نملك، خشينا خيال المآتة حتى تصلبنا في أماكننا وغرسنا في الأرض أقدامنا وأصبحنا لا نفرق عنه شيئًا، بل أصبحنا أضعف منه وأقل حيلة حين فشلنا حتى في إثبات ذاتنا في تخويف الآخر.

ولذلك.. استباحتنا جميع الظروف المُحلقة، ولم تخشَ خيالنا، وأصبحت رؤوسنا للظروف هي خير مهبط ومُستقر، وأصبحوا يأكلون ما لذ وطاب لهم حتى أصابتهم السمنة وتزايدت أحجامهم وأعدادهم، تهشمت أخشابنا وتمزق جلبابنا وملأته الثقوب، بل وأصبحت الظروف تُنثر فضلاتها فوق رؤوسنا بعد أن امتلأت بطونها، فلننفُض عنا كل من استباحنا ولنحول تلك الفضلات التي خلفتها الظروف إلى خير سماد لأفضل تربة زراعية.

«أنا النفسية»

أنا اللي بنام ومش جايلي نوم، بصحى من نومي وأنا لسه نايم، مُتحرش بس عُمري ماتحرشت، فلوسي على قدي بس مش مكفياني، بحب البنات بس كُبتي كارههُم، كلامي كله في السياسة بس مبحبش أتكلم فيها.

أنا اللي برفض عرسان كتير بس محدش يِستجري يُرفُضني، بتعصب من أُمي لو قالتلي ارجعي بدري بس بتكلم على البنات اللي ملهومش أهل وبيرجعوا بيوتهم متأخر، دايمًا مخنوقة بس بفرفش صُحابي، نَصَحت طوب الأرض بس عُمري ما نصحت أرضي.

الراجل مبيعيطش.. عشان كده عُمري ماعيطت، بس عُمري ما كنت راجل، أبويا وأُمي كل حاجة في حياتي وأقل اتنين بقعد معاهم في حياتي، بعشق بلدي بس نفسي أهج منها، مُؤمن إن كل حاجة قضاء وقدر بس عُمري ما رضيت بقضاء أو بقدر.

أنا اللي عُمري ما حبيت المُعاكسة بس عُمري ما كرهتها، أنا اللي بطير من الفرحة في يوم فرح صاحبتي بس مبيجليش نوم من غيرتي منها، أنا اللي عُمري ما هتجوز واحد تخين بس أنا تخينة، وبستغرب اللي بيرفضني عشان حجمي.

أنا اللي في نومي ملامحي بريئة بس أحلامي دايمًا مُرعبة، أنا اللي مبحبش الناس اللي بجيب في سيرتهم يجيبوا في سيرتي، أنا المكروه والمُستحب، أنا الفرض والمفروض، أنا الحلال والحرام.

أنا اللي رنة تليفوني قرآن لكن اللي بيكلمني شيطان، أنا اللي عملت

ثورة ضد الفساد مع إن أنا الفساد، أنا اللي بتحرش بيها وأتحرش باللي بيفكر بس إنه يتحرش بيها.

أنا نفسي أرتبط بأجمل واحدة في الدنيا بس أحسن واحدة منفسهاش، بعشق آخر حاجة من كل حاجة بس بكره الوداع، أنا اللي بحب اللي متحبنيش وأكره اللي تحبني، أنا اللي برمي الزبالة في الشارع وبقول على البلد وسخة.

أنا اللي بعمل كل حاجة غلط في حياتي بس بقفل الأغاني ساعة الأدان، أنا اللي مبعملش حاجة غلط في رمضان بس مبعملش حاجه صح بعد رمضان، أنا اللي بحمد ربنا كتير بعد كل عطسة تقريبًا، أنا اللي عايز كل حاجة بس عارف إنه مش هياخد معاه حاجة.

أنا اللي أُمي لو شافتني بره البيت مش هتعرفني، بس لو شافتني في البلايستيشن هتتبرى مني، أنا الوحدة الوطنية، وأكره ليه صاحبي لو ديانته غير، ما دام إحنا الاتنين كده كده هنخش النار، أنا اللي بشتم كل صُحابي بالأب والأم إلا لو حد فيهم ميت، أنا اللي بعمل كل حاجة مُعترض عليها، أنا اللي مُعترض على كل حاجة.

أنا العروسة اللي متترفضش بس لو ابني جابلي عروسة زيي هبهدلها، أنا اللي مبيهمنيش كلام الناس بس مبسمعش غيره، بحب ربنا بس بغضبه، عايزة أخش الجنة بس كل عمايلي تودِيني النار.

أنا التناقُضات اللي مبتخلصش، أنا مش أنا.. أنا إنت وإنت أنا؛ أنا نُصين بس مش لاقيين واحد، بس أنا واحد، أنا اتنين صُحابي بيتخانقوا جوايا، وأنا اللي بحوش ما بينهم.

La tristesse durera toujours

رجل بدائي يقضي كل يومه سعيًا وراء شيء يُطعم به زوجته وصغاره، وفي نهاية اليوم يعود إلى كهفه وقد حمل صيده على ظهره، غزالًا كان أم عددًا من الأرانب البرية حتى تعكف زوجته على إعداد الطعام، ثم تجتمع الأسرة في المساء حول النار يأكل أفرادها ثم يبدأ السمر؛ ليبدأ رب الأسرة في وصف يومه، ووصف المطاردة التي عاشها.. مُطاردة الفساد له، ومُطاردته للفساد.

كان جاهلًا بقيمة ما يحتضنه هذا المتحف الذي يعمل به ضمن فريق النظافة، ولم يتملكه الحقد حين علم أن لوحة واحدة من تلك اللوحات قادرة على تسديد ديون مصر، كان لديه قناعة بأنه يتملك ثروة لا تُقدر بثمن طالما هو وزوجته وأولاده الأربعة بصحة جيدة.

سمع صوت جرس هاتفه المحمول، وجد زوجته تُحدثه وهي تصرخ ولا ينقطع عنها البكاء، صوتها مبحوح.. لا يُصدر منها سوى الهواء بعد أن تقطعت أحبالها الصوتية، استوعب من حديثها أن أكبر أبنائه قد سقط صريعًا في مدرسته وفقد النُطق. التفت حوله بتلقائية استنجادية فوجد رجلًا ضخمًا يُراقبه من بعيد، ركض نحوه.. وروى له ما حدث لولده طالبًا المساعدة، طمأنه الضخم بسماحة شديدة، وأجرى مكالمة وأرسل سيارة إسعاف إلى موقع الحادث.

خرج ذلك الرجل الضخم من غُرفة العمليات بعد أن رفع الكمامة البيضاء عن أنفه وفمه، ووجه حديثه نحو عامل النظافة: «هناك عيب خُلقي في قلب ابنك، إنه يحتاج إلى عملية نقل قلب وبسرعة، لقد فقد

قلب ابنك قدرته على القيام بوظائفه بشكل سليم، والذي قد يؤدي به ذلك إلى فشل القلب النهائي، وفي هذه الحالة سوف نضطر إلى تزويده بقلب يكون أداؤه سليمًا، هناك من يتبرع بقلبه من الأشخاص حديثي الوفاة، ولكن ليس لأسباب قلبية»، ثم أكمل حديثه: «هل تعلم إنهم مجموعة من المُتخلفين الذين يعرضون في المتحف الذي تعمل به مُجرد قطعة قماش بعد أن يُسكب عليها بعض الألوان الزيتية من قِبل مريض نفسي قطع أُذنه، ليُصبح ثمنها ٥٥ مليون جنيه، وأنت هنا لن تستطيع أن تُنقذ حياة ولدك».

كان الصوت صادرًا من التلفاز ضمن عناوين الأخبار: «سرقة اللوحة المعروفة باسم زهرة الخشخاش صباح السبت من متحف محمد محمود خليل، ولا بد وأن يكون السارق مصريًا ومُلمًا بشئون المتحف، وبأن أجهزة الإنذار ومعظم كاميراته مُعطلة ولا تعمل منذ سنوات، أي أنه موظف في المتحف، أو كان في السابق موظفًا فيه».

ظل عامل النظافة يتلقى الأخبار، وهو ما زال لا يستوعب فعلته، أصبح يتمنى من أعماق قلبه أن يتوقف نبض ولده حتى يتوقف نبض ذنوبه الذي يجلبها إليه هذا القلب الحرام بعد أن استبدله باللوحة التي سرقها ودفعها رشوة للطبيب الضخم.

الساعات الأخيرة التي قضاها «فان جوخ» بعد أن أخذ مسدسه وأطلق على صدره رصاصة، نظر بعدها إلى أخيه وقال له: «La tristesse durera toujours»، أي: «الحزن يدوم إلى الأبد»، لم يكن يعلم

عامل النظافة تلك اللحظة التي عاشها «فان جوخ» حينما فتح دُرج الكومود إلى جانب سريره، وأخرج مُسدسه، ومشى على أطراف أنامله حتى وصل إلى الغرفة التي تضم أولاده الأربعة، وصوب مُسدسه نحو ولده الأكبر حامل الذنب في جوفه.

«الإعدام بالزغزغة»

عارضنا كثيرًا وسائل الإعلام المُضللة التي حملت شعار «الأكثر إثارة.. لا الأكثر مصداقية»، ولكننا لم نلتفت لحظه للشعار الذي رفعناه نحن باعتبار كل فرد منا مركزًا إعلاميًا بمجرد نشره لأي خبر بأي وسيلة، وحينما استوعبنا ذلك.. كل ما تطلعنا إلى تحقيقه هو العنصر الذي كان يفتقر إليه الإعلام، ألا وهو «عنصرالمصداقية»، وخاصة «المصداقية» في تلك المعارك التي يتساقط فيها العديد من القتلى.

وهذا هو ما دفعنا للتفكير في القيام باختراع أسلحة تعتليها عدسة كاميرا صغيرة تكون مُلصقة بالمسدس والبندقية والرشاش والدبابة وغيره؛ وتوزع هذه الأسلحة على الجميع.. الشرطة والجيش والمؤيدين والمُعارضين والبلطجية والإرهابيين وغيرهم، هذا الاختراع سوف يجعل لكل رصاصة تم إطلاقها صورة تم التقاطها، وربما مقطع فيديو إذا كانت هناك معركة شرسة وطلقات متتالية بين الطرفين؛ لأن السلاح المذكور يعمل على التقاط صورة للمشهد عامة والمكان الذي استقرت به الرصاصة خاصة، وبعد انتهاء المعركة يأتي دور مركزنا الإعلامي المُتخصص، والذي يضم عُمالًا مُدربين على أعلى مستوى ومُقسمين إلى عدة أقسام.. قسم مسئول عن مُصادرة السلاح واسترجاع بيانات مالكه، وقسم يقوم بتفريغ الصور من ذاكرة السلاح، وقسم مسئول عن التحقيق مع حاملين السلاح ومواجهتهم بصور طلقاتهم النارية.

هكذا يرى الجميع بالصور المُوثقة هل هذا القتيل الغارق وسط دمائه كان يستحق تلك الطلقة التي أُطلقت من سلاح القاتل وأزهقت روحه

أم لا؟ وسوف تكون هذه الصور الوحيدة هي المُقدمة لوسائل الإعلام والمسموح بنشرها لمُراعاة «المصداقية».

وبعد انتهاء المركز الإعلامي من تلك المراحل، يقوم القسم الأخير بإرجاع السلاح لأصحاب الحق الذين قد بررت الصور دوافعهم لإطلاق الرصاص على قتلاهم، أما من أثبتت صور طلقاته غير ذلك وأنه قد استخدم سلاحه بدافع الظلم والإرهاب، فهذا سوف يسترد سلاحه أيضًا دون تفرقه بينه وبين صاحب الحق حتى تشتعل المعركة بينهم مرة أخرى ويتساقط القتلى منهم بأعداد أكثر؛ فالعدل والمُحاكمة ليسا من اختصاص مركزنا الإعلامي النزيه القائم على مبدأ «المصداقية» واحترام عقلية المُشاهد.

أهم مبادئنا هو أن يعرف مُشاهدونا بالصور المُوثقة بالطلقات سبب مصرع القتيل الذي في الصورة، وبذلك يجد أدلة واضحة يُدافع بها عن الطرف الذي ينتمي إليه ويثبت بها إدانة الطرف الآخر على شبكات التواصل الاجتماعي، ولا داعي لكتابة بعض الألفاظ القبيحة الموجهة للطرف الآخر كعنوان لصورة القتيل، دون أي حُرمة للجُثث المُتراكمة وبحور الدماء وحزن الأهالي والأصدقاء.

ويقترح مركزنا الإعلامي تطبيق أسلوب التعذيب الذي كانت تتبعه ألمانيا في القرن السابع عشر، وهو أن نقوم باستخدام الزغزغة كأسلوب لتعذيب الإعلام المُضلل، وربما نُميتهم جميعًا من الضحك بحكم أننا شعب خفيف الظل بطبعه.

وقفة ضد الإعلام المُضلل حامل شعار «الأكثر إثارة.. لا الأكثر مصداقية»؛ فمركزنا الإعلامي يحمل شعار «الأكثر مصداقية.. لا نُبالي بالقتلى والمشاهد الدموية».

«عن أحلام الحيوانات»

عن أحلامنا: عن طفل تلخصت أحلامه في حمل حقيبة مدرسية خفيفة، عن شاب تلخصت أحلامه في الحصول على وظيفة بعد أن تكسرت عظام ظهره من حمل حقيبة مدرسية مليئة بالكُتب الفارغة، عن شابة تلخصت أحلامها في حريتها في التجول في الشارع دون أن يتحرش بها هذا الشاب العاطل، عن طفل الشارع الذي تلخصت أحلامه في جنيه يطلبه من تلك الشابة الضحية حتى يبتاع به رغيفًا لأنه «على لحم بطنه من الصُبح»، عن رجل تلخصت أحلامه في رفع الحد الأدنى للأجور حتى يستطيع تعليم ابنه الذي التصق اسم الشارع بطفولته، عن سيدة لم تُنجب سوى أفرادًا أقصى أحلامهم هو تطوير مُستوى التعليم وانخفاض الأسعار والرعاية الطبية ونظافة الشوارع وحل أزمة المرور والمياه والكهرباء، عن شعب كامل لم يصرُخ سوى ثلاثة أحلام: «عيش وحُرية وعدالة اجتماعية».

عن ابن آدم حين كرمه الله بالعقل وسخر له الدواب والسُفن والبر والبحر وجميع القوى الكونية حتى يُحقق أحلامه.

عن أحلام الحيوانات: عن غزال يحلم بالركض خلف النمر وافتراسه من مؤخرته، عن حصان يحلم باعتلاء الفارس حتى يجتاز به الحواجز، عن فأر يحلم بحجز الطبيب في قفص صغير حتى يُجري عليه بعض الأبحاث التي سوف تساعده في علاج الحيوانات، عن ذُبابة تحلم بقتل الإنسان بمُجرد ضربة واحدة من مضرب بلاستيكي، عن خنزير يحلم بصناعة حَصالَة نقود على شكل إنسان بفتحه في ظهره، عن خروف يحلم بتناول لحمة رأس الإنسان، عن سمكة تحلم باصطياد الإنسان.

عن الاختلاف الواضح الذي كرم الله به الإنسان عن الحيوان، عن مفهوم الأحلام المُتقارب تمامًا لديهم؛ فالغزال يحلم بافتراس النمر لأنه منذ بداية خلقه لم يسلم من افتراس النمر له، فاقتصر حلمه على ذلك، والإنسان كذلك يحلم برغيف العيش لأنه نشأ في بلاد جعلت عليه مهمة الحصول على رغيف العيش مُهمة شاقة تتطلب الوقوف في الطابور، فاقتصر حلمه على ذلك أيضًا، مع العلم أن الغزال كان باستطاعته أن يحلم بافتراس فيل ضخم، والإنسان كذلك باستطاعته أن يحلم بتناول أشهى أنواع اللحوم دون الوقوف في أي طابور.

عن سؤال المواطن المصري عن أحلامه حتى تُحزنك إجابته حين يُجيبك بأدنى حقوقه، عن البلاد التي جعلت من أدنى حقوقنا أحلامًا عظيمة صعبة المنال، عن الأحلام وليس الحقوق.

إياك والحلم بحقوقك.. احصل على حقك، واجعل حلمك بما هو ليس من حقك، لأنك لن تتناول اللحمه إذا اقتصر حلمك على رغيف العيش، ولن تُصبح رئيس جمهورية إذا اقتصر حلمك على الحصول على وظيفة، عن ثُوار كان لزامًا عليهم أن يثوروا على أحلامهم قبل أن يثوروا لأحلامهم.

«بُكرة النَهَاردَه»

لم تكُن الجاذبية ذات تأثير على خطوات «حَنَش» التي لم تُلامس الأرض، فرحته كانت أقوى بكثير من تأثير الجاذبية التي جعلته مُحلقًا في السماء يتطاير مُنذ دخوله المنزل، بعد عناء طويل وجمعيات كثيرة مكنته أخيرًا من اقتناء أحدث جهاز حاسب آلي محمول، شعوره باللذة وهو يخلع عن الجهاز ما يُحيط به من ورق وأكياس، كان قد اجتاز مُتعته حينما خلع عن إحداهُن ثيابها من قبل؛ حلم العُمر قد تحقق.

وبعد أن فرُغ من تعرية الجهاز بالكامل، أغرقه بقبلاته الساذجة، لا يذكر كم استغرق «حَنَش» من الوقت وهو غارق في نوبات البحث فيما يضُمه جهازه الجديد من برامج وإمكانيات لا نهاية لها ولا حدود، ربما استغرق منه الأمر ساعة.. ساعة كاملة كانت قادرة على أن تُنسيه تمامًا أن هناك صديقًا ينتظره أسفل المنزل!

أجاب «حَنَش» اتصال صديقه وباغته قبل أي شيء: «عليك بالعد من واحد وحتى عشرة وسوف تجدني أمامك على الفور»، لم يكن صديقه يعلم أنه سوف يعد ثواني ساعة أُخرى كاملة.. ساعة قضاها «حَنَش» منذ بدايتها مُندهشًا من ملف داخل الجهاز الجديد، هذا الملف اسمه «حياة حَنَش».

فتح الملف.. الملف مليء بآلاف الفيديوهات، الجهاز جديد لم تمسه يد قبل يده! وحتى إن لامسته يد أُخرى، مَنْ الذي قام بتسمية الملف على الاسم الذي اعتاد أصدقاؤه أن ينعتونه به؟

فتح الملف وقام بتشغيل أول فيديو، الفيديو كان باختصار عبارة عن

تصوير إلهي له، شخص خفي قام بتصويره خلال يومه دون أن يغيب «حَنَش» ولو ثانية واحدة عن الصورة، حتى لحظة دخوله الحمام كانت هناك كاميرا تقوم بتصويره.

ركض «حَنَش» نحو الحمام وجميع غرف المنزل بحثًا في كل رُكن فيها عن أية كاميرا مُعلقة، ولكنه لم يجد شيئًا، الغريب أن من قام بتصويره لم يدعه لحظة واحدة، حتى في لحظات خروجه من منزله، ونزوله إلى الشارع، ودخوله منزل أحد أصدقائه، أو جلوسه على المقهى، أو في الشارع، أو.. أو.. أو..

أكثر ما أصاب «حَنَش» بالرُعب ليس أن جهازه جديد ولا يعلم من الذي وضع مثل تلك الفيديوهات عليه، وليس أن هناك شخصًا كان يقوم بتصويره في جميع الأوضاع، بل أشد ما أصابه بالرعب والفزع هو أنه لا يذكر أنه عاش ولو لحظة واحدة من اللحظات التي يظهر بها في الفيديو والتي يراها أمامه.

أفاق «حَنَش» من غيبوبته على لعنات صديقه الذي ينتظر مُنذ أكثر من ساعتين أسفل منزله. قضى «حَنَش» وصديقه اليوم حتى نهايته، وحينما عاد «حَنَش» إلى بيته، لفت انتباهه شيء ما، إن كل ما حدث في يومه مع صديقه مُنذ قليل هو نفس ما رآه في الفيديو قبل نزوله من الأساس من البيت! فتح الجهاز مره أُخرى، ثم فتح الملف وهو يعبث في الفيديوهات بشكل عشوائي، حتى اتضحت له الرؤية، هذه الفيديوهات تضُم حياة «حَنَش» القادمة التي لم يُعاصرها بعد. «حَنَش» أصبح بين يديه مُستقبله بشتى تفاصيله.

بشكل بديهي.. نظر (حَنَش) إلى آخر فيديو في الملف، ولكنه لم يقدر على فتحه ورؤية ما بداخله؛ لأنه بمنتهى البساطة يعلم أنه سوف يرى داخل هذا الفيديو آخر أيامه، لأنه ليس هناك فيديوهات بعده، الأمر بسيط وواضح.. هذا الفيديو هو آخر يوم له، هو آخر مُستقبله، هو نهايته الحتمية.

وبعد عملية حسابية بسيطة قام بها «حَنَش»، اكتشف التاريخ الذي سوف يُودع فيه الحياة، فضوله جعله يتمادى في إلقاء نظرات خاطفة على مقاطع سريعة من أيام مُختلفة من مُستقبله، مقاطع سوف تحدث له تجعله ينتظرها وهو في غاية السعادة، رُغم حزنه البالغ بأنه قد تم حرق أحداثها عليه، ومقاطع سوف تجعله في غاية الحُزن والكآبة لأنه كان يتمنى أيضًا ألا يراها حتى لا تؤثر على نفسيته قبل حدوث الكارثة المُستقبلية.

كره «حَنَش» معرفته للغيب والمُستقبل بقُطبيه الحزين والسعيد، تمنى ألا يرى ما سوف يحدث له ولو بعد ثانية واحدة، تمنى أن يعيش اللحظة بلحظتها.

وفي قدوم اليوم المُنتظر.. آخر فيديو، وآخر يوم، فقط يعيش «حَنَش» مُنتظرًا نهايته؛ ولكن اليوم قد انتهى ولم يحدث له شيء، الملف قد قام بعمل تحديث ووضع له فيديوهات أُخرى تستكمل حياته المستقبلية.

«دُخِلة بَلَدي»

ثم جاء الرجل الشرقي من أُم المجتمع الشرقي وطلب يد الأُنثى، قبِل أهلها بذلك، أصبح يُهلل من كان يتمناها له، ويُولوِل من كان يتمناها لنفسه، ولكن الزواج قسمة ونصيب، عُقدت مراسم الزواج والأفراح في تلك الحارة الضيقة وسط أجواء الرقص والطبل والزمر والزغاريد والطلقات النارية وجمع النُقطة وتحية المدعوين.

فجأة.. قبل أن يوشك الفرح على الانتهاء، سرت همهمات بين الحريم ثم جاءت حماتها لتسحبها إلى شقة الزوج في نفس الحارة الضيقة التي تُعقد بها مراسم الفرح، تبعتها والدتها وخالاتها، وتحلقن جميعهن حولها بعد أن ألقوها فوق فِراشها الأسود، بعد أن نشروا فوطة بيضاء تحتها، وجردوها من فُستانها الذهبي.. أمسك جميعهن العروسة من رأسها ويديها وكتفها ورجليها، وكتفوها كما ذبيحة العيد حتى يتسلل العريس إلى داخل تلك الحلقة.

فجأة.. تحول المشهد إلى مُجرد عروس عارية منكوشة الرأس، وجهها أصفر شاحب لون فستانها الذي جُردت منه، تجمد الدم في عروقها، نظراتها تستعطف زوجها الواقف أمامها وسط هذا الكم الهائل من النسوة.

فرُغ شريط الصوت تمامًا من صوت الرقص والطبل والزمر والزغاريد والطلقات النارية ومن صوت المعازيم الذين لم يعودوا ينطقوا وهم رافعين رأسهم نحو بلكونة العرسان إلا بسؤال واحد: «ها يا ريس.. رفعت علم مصر؟»، وما زالت العروس على هيئتها.. كما هي لم تتحول عنها

وما زال العريس في حالة توتر وسط انتظار الجميع له بالدخول، حتى لا يتأخر ويُشاع عنه الكلام: «ها يا ريس.. رفعت علم مصر؟»، «ها يا ريس.. رفعت علم مصر؟»، وكأن تفكير الجميع قد توقف عند انتظار الفوطة البيضاء وهي مُرصعة ببقع الدم الفاقعة.

إلى من نوجه الشكوك حين نُطالب بتلك الدُخلة البلدي، حين نقف فوق رأس العريس نُطالبه برفع علم مصر؟ هل نُوجه الشكوك إلى عجز العريس الجنسي؟ أم نُوجهه إلى عُذرية الأُنثى؟ لماذا لا نعود إلى منازلنا.. إلى أهل بيتنا.. إلى أشغالنا؟ لماذا لا نترك العريس وشأنه؟ لماذا لا نقتنع بأن تقاليدنا هذه هي التي تُعطل سير عجلة الحياة؟ ما يحدث لن يؤدي إلا للاستعجال وتوتير العلاقة بين الزوجين، دعنا من انتظار مُجرد فوطة بيضاء مُرصعة ببعض بقع الدم الحمراء الفاقعة، دعنا من سؤال العريس أن يرفع علم مصر، دعنا من التشكيك وهيا بنا نحن حتى نرفع علم مصر، حتى من جاء ليُؤيده ويُدافع عنه، ويُحطم جميع من يعترضه فليذهب ويعود من حيث أتى، حتى هذه الأفعال ضد مصلحة من جاء ليُؤيده، العريس في حاجة إلى الاستقرار وقليل من الوقت، والزوجة في احتياج إلى حالة من المداعبة والتدليل والمسايسة والوصول إلى إنهاء العلاقة بشكل تدريجي، وكفى أن نستُر على عجزنا بفضح ما يعجز عنه الآخرون.

«روح جميلة»

« جميلة » . . شابة في الثالثة والعشرين من عمرها، ولدت وكأنها ميتة لم تُحرك ساكنًا بسبب الشلل التام الذي استولى على جسدها كله حتى لم يترك لها عقلة صغيرة من أصبعها كي تتحرك، وُلدت عمياء لا تسمع أو تتكلم.

شعرها أسود فاحم طويل لم يمسه مقص منذ يوم ولادتها، بشرتها قمحية مُضيئة، عيناها واسعتان تحملان بؤبؤتين سوداويتين تحميها رموش كالسهام في سواد الليل، أنفها حادة رفيعة دقيقة، خدودها تتلون باللون الوردي لتحمل شفتيها ملمس الورود ورائحتها، تظهر أسنانها أسفل ابتسامتها المُشرقة رغم بساطتها ناصعة البياض كاللؤلؤ المُتراص، تتجمع ملامحها لتوحي إليك ببراءة لم تعهدها من قبل، جسدها ممشوق وخصرها منحوت يحتضنه كُرسي مُتحرك يكسوه الجلد الأسود محمول بواسطة عجلتين ضخمتين من الخلف وأخرتين في غاية الصغر من الأمام، تخرج من أعلى ظهر الكرسي يدان تُطل على يدي « جميلة » التي أسقطتهما مُتباعدتين بين فخذيها.

كانت والدة « جميلة » تُخرجها يوميًا في الصباح الباكر إلى مكان ما يُشبه جنة الله على الأرض، حديقة واسعة تتوسطها بُحيرة زرقاء ضخمة محاطة بالشجيرات وجميع أنواع الورود بتعدد ألوانها؛ فمنها الأصفر والأحمر والوردي والبنفسج والأخضر يكسو أرضها وجميع ممراتها، السماء صافية تظهر بها السُحب البيضاء بوضوح، يطير حولها الفراش والعصافير التي ملأت الجنة بزقزقتها، رائحتها عبارة عن خليط من أزكى الروائح التي تفوقها رائحة الفل والياسمين، تضم هذه الجنة العديد من مُريديها ولكن لمساحتها الشاسعة التي تجعلك لا ترى لها نهاية على

مدى نظرك هي التي تُحافظ على خصوصيتك وتجعلك تشعر وكأنك بمُفردك داخلها.

كانت والدة «جميلة» تتركها داخل هذه الجنة وتتعمد تركها وحيدة حتى تتأمل في عالمها الخاص وتُغذي روحها وتُصفي ذهنها.

وفي يوم من تلك الأيام، دخل هذه الجنة شاب وسيم.. ملامحه شرقية، يتناسق طوله مع عرض جسده، جلس على أحد الكراسي التي تبعد كثيرًا عن مكان جلوس «جميلة» حتى أنها لا تقع محل أنظاره، فهو في شرق الجنة وهي في غربها، ولكن في تلك اللحظة.. لحظة دخوله، أحست «جميلة» شيئًا غريبًا بداخلها تجهله، حيث لم تشعر به من قبل.. نبضات غريبة تعلو شيئًا فشيئًا، وخفقان في القلب بسبب تزايد عدد دقاته عن المائة دقة في الدقيقة الواحدة، أحست بشيء ما داخل دورتها الدموية أرسل تغيرات كيميائية عبر دورتها الدموية إلى جسدها كله، ابتدأ وجهها الوردي بالاحمرار وخاصة أُذناها الساخنتان.. ارتبكت بشدة وأخذ العرق يتصبب من مسامها الواسعة؛ لأول مرة تشعر بأن داخل حنجرتها صوت يضطرب بسبب توارد الأفكار وتدفق المشاعر وامتزاجهما معًا، ثم شعرت فجأة بألم ما يتوغل في بطنها.

حاولت أن تستجمع قواها وتستدعي إتزانها حتى تُخبره بمشاعرها اتجاهه.. ولكن كيف؟ فلا توجد بها حاسة أو عضو يؤدي وظيفته حتى يُسعفها في إيصال مشاعرها، وسألت نفسها سؤالًا حتى تتوصل إلى إجابته: «كيف على الأعمى.. الأصم.. الأبكم.. مَنْ استولى الشلل على جسده كله، أن يُصارح شخصًا ما بحبه؟».

تصارعت جميع أعضاء جسدها بعد أن أحاط كل منهم رأسه بالخوذة

ووضع الدرع الواقي ليقي به صدره، امتطى كل منهم جواده وأخرج كل منهم سيفه وأشهره في السماء صارخًا مُعلنًا الجهاد ليخرج الصهيل صارخًا من أفواه الخيل غارسين أقدامهم في رمال الصحراء ليحجب الغبار الرؤية عن الجميع، ولكن لم يستطع أحد منهم أن يتخذ خطوة واحدة أخرى بعد ذلك، وكأن المشهد قد تجمد عند هذه اللقطة، كل منهم يتصارع حتى يُثبت نفسه ولكن لم يستطع أحد فعل ذلك، تمطعت الأعصاب بداخل جسدها ولكنها شعرت وكأن أوتارًا تتمزق بداخلها وانتفضت العروق حتى أصبحت بارزة من جلدها بين الخضار والازرقاق، حاولت أن تصرخ بشدة ولكنها وجدت فمها مفتوحًا على مصرعيه دون أن يُصدر أي همسة بسيطة بعد أن كاد فكيها أن ينفصلا، ازدادت ضربات قلبها بحدة حتى كاد أن ينفجر ويشق صدرها هاربًا، شعرت بأطرافها تتجمد من البرودة وسط تصبب العرق من مسامها، روحها تنسلت منها وكأن ملك الموت قد أتى لاصطحابها بعد أن زاغت بؤبؤتاها السوداويتان إلى أعلى ليعم البياض، أصابتها تشنجات شديدة بداخلها كالزلزال ولكنها ظهرت كهزة خفيفة على جسدها، شعرت بصداع شديد كاد أن يشق جمجمتها ليخرج عقلها من فوق أُذنيها، توغل الألم إلى عينيها حتى شعرت بلهيب داخلها حتى أنها كادت أن تذرف منها دمًا، أحست بضيق شديد لم تعهده من قبل بين عينيها في صدارة أنفها وتذوقت طعم البكاء المالح الخانق في حلقها الذي جف كالرمال، ضاق صدرها بشدة وكأن جبلًا ما وضع فوقه ليُفتت عظامه، حبل من ليف النخل يدور حول رقبتها في مُحاولة منه لخنقها أسفرت عن فرار دمعة بيضاء من عينيها.

حمدت الله بعدها أن دموعها لم تُصب بالشلل كباقيها، وكأنها أشهرت رايتها البيضاء رمزًا تُعلن به استسلامها ليتراجع جيش أعضائها المُدرع بعد أن أعاد كل منهم سيفه وأخذ الخيل في التراجع إلى الوراء خطوة تلو الأخرى مُعلنًا رحيله.

في تلك اللحظة.. داعبت وجنتيها نسمة هواء جعلت خُصلاتها تتطاير وكأنها تُداعبها حاملة لها الراحة والأمل، رسمت على شفتيها ابتسامة وكأنها سماء صافية تُشرق الشمس منها، لتُلامس شفتيها في تلك اللحظة وردة رقيقة ناعمة أوراقها مُحملة بالندى تلتف حول بعضها البعض في أناقة وانسيابية، تنبعث منها رائحة مُنعشة استنشقتها بأنفها حتى رأتها بروحها.. وردة بيضاء يحملها غُصن أخضر طويل رفيع، يحمله شاب وسيم، ملامحه شرقية قد جاء راكضًا من شرق الجنة إلى غربها ليُداعب بها شفتي «جميلة» رافعًا الراية البيضاء مُعلنًا استسلامه هو الآخر لروح «جميلة».

في حالة وجود أي شكاوي من جودة طباعة الكتاب يرجي التواصل معنا عبر صفحتنا الرسمية بال Facebook

" زيرو وان للنشر و التوزيع Zero one "

او عبر التليفون : 01090288777 - 01285829109

تباع النسخة الكترونياً عبر صفحة الدار

ZERO ONE PICTURES
Production solutions that make sense
زيرو وان للتوزيع – شارع أحمد فخري – مدينة نصر – القاهرة
تليفون : 01285829109- 01090288777

«زيرو وان» للنشر و التوزيع

E.mail: Zeroonepictures@outlook.com

Zeronepictures.com

website: www.zeronepictures.com

© جميعُ الحقوق محفوظة، وأى اقتباس أو إعادة طبع أو نشر فى أى صورة كانت ورقية أو الكترونية أو بأية وسيلة سمعية أو بصرية دون إذن كتابى من الناشر؛ يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعّبر بالضرورة عن رأي الدار.